

روایات عبر



آت میث

سقوط الاقنفة



hind70

www.hind70.com

سقوط الأتفة

قد تنقلب الحياة رأساً على عقب في غمضة عين، او تكشف اسرارها في لحظة عابرة... هذا ما حدث لسمانا الجميلة الياقة وكان عليها ان تتخلى عن احلامها على شواطئ بيروزيو القرية الايطالية الحاملة حيث ترعرعت...
... وفجأة وجدت نفسها في لندن حيث كانت حياة الأضواء تنتظرها بكل قسوتها وتكاد تطيح بها كالأعصار...
الأتفة تحيط بها من كل جانب، والحب يبدو مستحيلاً.
هل تستسلم للأغراء في هذا العالم الشائك وتبقى، ام انها تنفلت منه في اخر لحظة لتلبي دعوة الى المجهول؟

١- نداء الى سمائنا

تلقت سمائنا رسالة من انكلترا بعد شهر واحد من وفاة والدها المياغة . وكانت لا تزال في حالة صدمة وذهول منذ سماعها نيا حادث السيارة الذي اودى بحياة والدها على طريق الاوتوستراد السريعة من ميلانو الى بولونيا . وقد نجم الحادث عن انفجار مفاجيء في إحدى العجلات الاماميتين لسيارته القديمة الفخمة ، الامر الذي جعلها تنزلق بشكل خطر وتتجاوز الحاجز الفاصل بين قسمي الاوتوستراد قبل ان تصطدم بحافلة ركاب سياحية انطلقت بالاتجاه المعاكس . وذعر المسافرون ، الا انهم لم يصابوا بأذى ، في حين قتل جون كنفزلي .

ولمك الشقاء سمائنا . فقد شاركت والدها حياته طويلا ، في هذه القرية الايطالية الصغيرة بيروزيو التي يعتمد سكانها في معيشتهم على صيد السمك . كما كانت علاقتها حميمة ، وحمية جدا بحيث جعلتها وفاته تحس انها لن تدوق طعم الامان والسعادة ثانية . وهكذا ، لم تتمكن ماتيلدا العجوز التي عملت مديرة للمنتزل منذ وعت سمائنا الدنيا ، على سد الفراغ الكبير في حياتها .

كان جون ، كما نلته دائما ، في زيارة لميلانو بقصد افتتاح معرض منحوتاته الاول بعد اغفال موهبته سنوات عدة . وعندما زارها احد المتحمسين للفن ، اعجب بمنجزات جون ، وساعده على اقامة معرضه في ميلانو حيث كان قد امضى اسبوعين وهو يوالي سمائنا باختيار نجاحه والعروض التي انالت عليه . ووقع له الحادث في طريق عودته الى البيت . وظلما تأملت سمائنا بمرارة سخرية القدر ، الذي اودى بحياة جون ما ان

جميع حقوق الطبع والنشر والائتياس والترجمة محفوظة
لدارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات:

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

www.liilas.com

بدأت احلامه تتحقق واتعبه تشر.

واجريت مراسم الدفن في بيروزيو، فيها تجمع كل سكان القرية في الكنيسة الصغيرة حيث لقي الكاهن صلاة الجناز. وضافت سمائنا ذبوع بمودة اهل القرية وتعاطفهم، ونمت لو اننا بقيت وحيدة مع حزننا وذكرياتنا.

كانت اوضاع والدنا المالية في حال مزرية. فالفيلا مستأجرة. وقد حسب الجميع ان المعرض بداية نجاحه، مع انه لم تظهر اية دلائل بعد على ايفائه تعبه عبر السنوات الطوال. اما مرتبه المقروض له بعد تقاعده من الخدمة العسكرية، فقد مات معه. ولم يبق لسمائنا بعد دفع تكاليف الدفن الا القليل. ورضيت حالياً بالبقاء في الفيلا مع علمها انها مسكن مؤقت. وتوجب عليها ان تتحرك بسرعة: فاما ان تحصل على وظيفة، واما ان تقبل عرض الزواج المقدم لها. لكنها كانت دائماً تتجنب التفكير بالمصير وفي اي حال، كم وظيفة هي مؤهلة لادائها؟ صحيح انها تحسن استعمال الآلة الكتابية الى حد، وان يقدورها ادارة منزل صغير وطهي بعض انواع الطعام، لكنها لم تعتبر هذه الكفاءات مقبولة في عالم حديث يميل لما ان كل فتاة فيه تزود نفسها بمعارف واسعة حتى تؤهل نفسها لتتبرأ مركزاً ما. والآن، وصلها هذا الخطاب من انكلترا، البلد الذي لا تفر فعلاً بانه مسقط رأسها. فهي عاشت في ايطاليا منذ كانت في الرابعة من عمرها، وتتكلم الايطالية بطلاقة أهل البلد. وهذا هو الوطن الوحيد الذي عرفته حقاً، علماً بان والدنا اصر ان يتحدث بالانكليزية كلياً انفراداً ببعضها. وكان جون قد اخبرها ان امها توفيت فيها كانت هي طفلة صغيرة، وان ليس لها أي اقارب آخرين. وعليه، هجر انكلترا، وقصد ايطاليا حيث يتوافر له الوقت والألغام لاداء عمله.

لم يكن بحوزتها مال كثير. الا ان اليسير منه كفاها بسبب رخص المعيشة في هذه القرية التي تعتمد على صيد السمك، التوفر في الاسواق. وماتيلد تصنع كل ما يحتاجه البيت من الخبز. اما هما، فيحتاجان الحضر في الحديقة الصغيرة الواقعة اعلى التلة وهكذا، كلنت سمائنا قاتعة على الدوام.

كلنت سمائنا الرسالة الموضوعية في غلاف ثمين بين اصابعها قبل ان

تفتحها. ولم تعرف اي شيء اخر عن الخطاب الذي حيرها كثيراً معرفة مضمونه. انه لا بد مرسل من احد اصدقاء والدنا في انكلترا، لم يعرف بوقاته الا مؤخراً.

كتب الجواب على ورق مخصص للرسائل يحمل عنواناً خط باحرف ذهبية صغيرة: مسكن دافن، ولششير. وعبرت سمائنا فيها تطلعت الى نهاية الرسالة لتقرأ امضاء مختصراً بسيطاً: لوسيا دافنيورت. وهزت سمائنا كتفها بطريقة مألوفة فيما قرأت الخطاب من بدايته:

وعزيزتي سمائنا:

حين تلقيتني بأ وفاة صهري الممجة، وضعت الترتيبات اللازمة لعودتك الى انكلترا. فمن الواجب ان تعودتي اليانا نحن، نحن اسرتك، ونحن الذين نريدك. فانا جيدتك، وانوي اطلاقك على الحقيقة التي ترفض برابرا كأي أم أخرى، اعلامك بها.

ناكدي ان أمك ما زالت تنبض بالحياة والحيوية وذلك على عكس ما يمكن ان يكون قد صوره لك والدك. واني اتصور انك تجهلين هذه الحقيقة. الا اني سأوافيك بمزيد من التفاصيل عندما نلتقي. ويسرني كثيراً، يا عزيزتي، ان تعودتي للاقامة معي، انا السيدة العجوز، في مسكن دافن. قورضي الحالي محل وكتيب. لكني امل ان تحيط بي صبية مثلك، عل ان اسعى لتوفير المنة والسلوى لك بالرغم من ذلك.

تأملت سمائنا الرسالة بدهشة. وانتاب الوهن رجلها، قارعت فوق ذراع احد المقاعد القريبة مترامية وقد تنازعها الاندهاش والشك. هل يمكن ان يكون ما قرأته صحيحاً؟ ام هل طلع احدهم بهذه الفكرة البغيضة قصد المزاح؟ ثم قلبت الصفحة باصابع مرهقة، ومضت تقرأ:

«حين اتصل بي بحاميا والدك، بناء على تعليماته في حال اصابته بمكروه، سارعت بإرسال تعليماتي لترتيب سفرك الى لندن، حيث سيكون هناك شخصياً للمرافقة اذا تفصلت واعلمتني بتاريخ وموعد وصولك. ارجو الا تكثري التفكير في ما قلته لك الى ان نلتقي. فمن المستحيل ان تفهمي شيئاً اذا لم توضح لك الامور وتشرح الحقائق. وثقي باننا سنرحب بك هنا المخلصة لك: لوسيا دافنيورت».

لم تتمكن سمائنا من كبت صيحة التعجب التي انبعثت من حلقها.

ووضعت الرسالة في مغروفها بعناية، فيما حدثت في الفراغ على غير هدى.
فسالت نفسها ثانية إذا كان هذا صحيحاً، هل صحيح أنها عاشت كذبة
طوال هذه السنوات؟ وهل ما زالت أمها حياً على قيد الحياة؟ وإذا كان هذا
صحيحاً، فلماذا لم تتصل بها أبداً؟ وحتى إذا لم يكن ذلك صحيحاً، من
يفكر بهذا الضرب من الخداع؟ لكنها قررت في نهاية المطاف أنها الحقيقة ولا
بد.

وعادت يدها إلى علبة السكاكر المتفوشة التي صنعها والدها، فأخرجت
منها لفافة ناع، واشعلتها. ثم أخذت تفكر بحالة الاضطراب التي سيطرت
على عقلها. لقد امتلأت حياتها الفارغة من جديد على نحو مفاجئ.
امتلات بفراغ يدعون القربى، جدة، وأم، هل يمكن أن يكون لها أخت
وأخوات أيضاً؟ وترأسم منه سؤال وسؤال في رأسها، لكنها لم تستطع أن
تجد لها جواباً مقنعاً. والطريقة الوحيدة لحل اللغز هي زيارتها لندن حسبما
اقترحت جديها.

لقد أرهنتها فكرة أبعادها، وحتى اقتلاعها، عن كل ما ومن أحبه طوال
هذه السنين. فهل يمكنها أن تترك ماتيلدا؟ صحيح أن ماتيلدا شقيقة تعيش
في راقا على مقربة من بيروزيو، ولكن، هل يجوز أن تتوقع مفادتها بهذه
الطريقة؟ وماذا لو لم تحب أختها الجدد الغرباء وهم لم يشعروا بها حتى الآن؟
ولماذا يبقى جون الأمر سراً خفياً؟ تصورت أنها لا يخفيان أسراراً عن
بعضهما، فيما كنتم والدها سراً قد يغرب بحرى حياتها كلياً!

اصابتها الرجفة بالرغم من حرارة الجو. فوقت، ثم سارت على
الأرضية اللامعة المصقولة نحو الباب الذي يفتح على الشرفة المطلة على
رمال الشاطئ، البيضاء... حيث تنكسر أمواج البحر الأديريتيكي الزرقية
الزبدية على الدوام. كان المظهر اخذاً، فحبست أنفاسها. لن تترك
كل هذا الجمال، وتقصد مدينة الإنكليزية ياردة تلبث اليوم في سماعها،
وتحتجب فيها الشمس عن الظهور، فلا يستطيع الناس أن يخرجوا دون
ارتداء معاطفهم الواقية من المطر! لقد رسم جون صورة قاتمة لموطن
ولادتها. ولكن، بعد كتمان جون كل هذه الأسرار عنها، تساءلت إذا
كانت لندن على هذا القدر من البشاعة الذي صورها لها. فلو كان في تلك
المدينة شيء يكرهه، شيء جعله يهاجر إلى إيطاليا ليشبع عنها، أفلا يمكن

أنه رأى الأمور بمظهر مختلف عن مظهرها؟ وشعرت أن ليس باستطاعتها
اطلاع أحد على معلوماتها في هذه اللحظات. فقد كان الخبر صاعقاً، ومن
الصعب شرحه حتى لماتيلدا.

واطفات سكاكرتها. ثم غادت أدراجها لتعبر الممر المغطى بالأجر
والمؤدي إلى حجرة نومها حيث خلعت عنها بنطالها الجينز القديم وسترتها
الصفوية. وارتدت بزة استحمام خاضتها بنفسها، ثم نظمت شعرها على
شكل ذيل القرس.

وغادرت القبلا باتجاه الشاطئ، متجاوزة الشرفة ثم التلة المنحدرة.
وعادت نحو البحر الدافئ، حيث التفت بنفسها... فعمرتها مياهه قليلاً
قبل أن تطفو على السطح وتسيح بثبات فوق الأمواج. كانت تسيح كل
يوم. وكان يوسعها أن تتناسى مضاعفات الرسالة الخطيرة بعض الوقت
وهي في الماء. ولكن، لا بد أن تعود سريعاً وتغير ماتيلدا بالأمر، وتطلب
مشورتها. أما الآن، فلا تحظر لها على بال سوى دفء الشمس والسعادة
التي توقرها لها المياه. ولم تنبه إلى أنها ابتعدت عنها، وللمرة الأولى، شبح
الكآبة التي سيطرت عليها منذ وفاة والدها.

ولما تطلعت إلى الشاطئ خلفها، أدركت أنها وهي السباحة القوية
قطعت مسافة أكبر بكثير مما ظنت. واستدارت، فرائت صياداً يحمل الجسم
يراقبها. فلوحت له بيدها إذ عرفته. وسرعان ما بلغت الأماكن الضحلة،
فخاضت في مياهها إلى أن بلغت الشاطئ.

وقف بينو اتجلى برافب تقدم سماتاً بعين دافئين يملأهما الشوق.
لله ما أجمل هذه الفتاة الإنكليزية الشفراء بشعرها الحريري الكثيف
المتسدل رطباً فوق كتفيها. وتقرست سماتاً بكتفيه مبتسمة. وتوازت
عيونها بسبب طول قامتها. وسأها بينو باللغة الإيطالية:

«أنتك أفضل، اليس كذلك؟»
خفضت سماتاً رأسها. ومع أنه لا يحتمل أن يترك بينو قريبته، فقد
عكفت سماتاً على تعليمه الإنكليزية، التي خاطبته بها الآن:

«أجل. اشكرك يا بينو»
تكرس مرتيكاً، وتابع حديثه بلغته:

«سندهبه اتعايك سدى. فانا لن اتعلم».

أرخت عقدة شعرها، وارتمت فوق الرمال متصلة باسترخاء فيها أجابه
بالإيطالية:

«أنتك لن تتعلم إذا لم تحاول. ما أروع المياه!»

وجثم بينو بجانبها، وعلق بقوله:

«أنتك تسبحين بعيداً لوحدهك».

فتهدت وقد بدا لها عوقبت على نحر ملائم:

«أعلم ذلك».

اختار بينو لأن سمعنا لم تضع وقتها في الاحداث القارعة منذ وفاة
والدها. أما اليوم، فقد اختلف الوضع. وهنا خاطبه وكأنها قرأت
افكاره:

«الحقيقة انني مذهولة بعض الشيء». فقد تلقيت هذا الصباح رسالة من
انكلترا».

فهمت قسماً بينو وقال:

«انكلترا! هل تعرفين احداً في انكلترا؟»

اجابت سمائنا وهي تنقلب على وجهها:

«يبدو انني اعرف».

«أحد يعرف والديك؟»

«أجل... وكلمة «يعرف» ليست معبرة بشكل كاف».

وهزت رأسها. «أما هو، فتتعدد بقرتها:

«أذن خيريني من هو مرسل الخطاب».

فابتعدت عنه بغضب. ثم جلست:

«أني لا امزح. فالرسالة من جديتي. هل فهمت الآن؟»

تحلى بينو من تكاسله ودعائه:

«جديتك! لكن والدك قال ان لا اقارب لك».

«أعلم ذلك. لكن، يبدو انني اقارب. هذا اذا لم يكن احدكم يزا مني

ويسخر بشاعري، والأهم من ذلك انني لثاء».

فصاح بينو:

«ويا الله».

«هذا هو شعوري بالضبط. فانت ترى اني اواجه مشكلة».

«وما هي؟»

«جديتي تريدني ان اذهب الى انكلترا».

ارتسم الغضب على ملامح بينو:

«كلا. أنتك لن تذهبي».

تهدت سمائنا:

«وهذا ما لم اقرره بعد».

مال بينو نحوها:

«هراء! وماذا عنا؟ أنتك تعرفين حقيقة مشاعري تجاهك. وقد

فقتنت... آملت... انه سرعان ما...»

اطرقت سمائنا قبل ان ترد:

«أني اعلم».

لم بعد يساورها الشك بصحة مشاعر بينو نحوها. لقد كبراً معاً دون ان

يفترقا معظم الوقت. فعلمها السباحة والصيد وإدارة المركب تماماً مثل أي

شاب في القرية. ولم يعترض جون، علماً بأنه لم يكن شديد الاهتمام بينو

أحياناً. ولم يستطع ان يرى ماذا كان يحدث بالقرب منه. ودخل في روع

سمائنا ان صداقتها متينة وخيمة بحيث لا تسمح بشيء قصة حب وغرام.

لكن اقتران أبناء الجيران وبناتهم ببعضهم امر طبيعي في إيطاليا. وعليه، لم

يخف بينو امر مشاعره.

وانظر أهل بينو يوم العرس. وتناقل أهل القرية اخبار كوخ شجر حديثاً

يلائم العروسين، خصوصاً وان الجار الفيلاني يقطنها جون كنغرلي مرتفع

بالنسبة لها. كما رغب بينو بالبقاء وسط اهله الذين اصعبت صحتهم

سمائنا، وفنت باولاد اشقائه وشقيقاته. لكن الزواج كان خطوة كبيرة.

ولن ينقضي وقت طويل قبل ان ترى نفسها وسط اسرتها وقد اصابت كل

فرصة بمغازلة القرية ثانية. هل هذا ما تريده فعلاً؟ لقد طرحت هذا

السؤال على نفسها مراراً وتكراراً، وطلعت دائماً بجواب واحد غير مقنع.

ما اختارها الآخر بعد ان توفي جون وزادت المشكلة تعقيداً؟ لقد

فهمت هذه الرسالة امامها ابواباً جديدة. ومع ان فكرة الرحيل اوهنتها،

فانها ايقنت ان هذه فرصتها الاخيرة للتعرف على العالم. ولكن كيف يمكنها

ان تشرح هذا الامر لبينو؟ وهل يسمه ان يفهمها؟ كان بينو عازماً على

الاقامة في بيروت. انه يحيا حياة هائلة ويفخر بأسرته. وربما افتخرت، هي أيضاً، بأسرتها.

دأب بيتو على اعتبار زواجها امرأ طبعياً. ولذلك اضطرب عندما جوه بموقفها الجديد. وسألها فجأة:

«لماذا لم يحضروا لمرؤيتك مرة؟ ولماذا اعلمتك والدك بان امك ميتة؟»

فصارحته متبعدة:

«الحقيقة اني لا اعرف. لعلهم اعتبرهم غير موجودين بالنسبة له. الا ان محاسني والدي اتصالا بجدي. ولا بد انه قرر ان اعرف الحقيقة اذا اصيب بذكروه. ومن البديهي انه لم يتوقع حدوث مثل هذا الامر بسرعة. فهو لم يكن في اي حال، متقدما في السن عند وفاته.»

«ولكن، ماذا عني؟ لا شك ان والدك عرف بعلاقتنا؟»

فاطلقت سماتها تنهيدة طويلة:

«كان يعرف ولا يعرف. فانا يا بيتو لا التصور ان اني توقع ان تعدي علاقتنا اطوار الصداقة.»

ابتعد بيتو عنها:

«وهل سمحت له بان يتصور ذلك؟»

فاجابته سماتها وهي تقف بلورها:

«كلا بالطبع. لقد اخبرته اننا معجبان ببعضنا...»

بسط بيتو يديه باتساع عاجزاً:

«معجبان؟ اني احبك.»

اطلقت سماتها شفتيها قبل ان تعترف:

«اعلم. اني اعلم.»

فزجر ساعطاً:

«ولكنك متسمحين لاسرتك الجديدة بان تبعدك عني.»

واصمت سماتها اذنيها بيديها:

«لا! لست ادري بعد.»

وطقت الشراصة على بيتو:

«لن اسمح لك بان تفعل ذلك.»

ادارت سماتها له ظهرها، وركضت تتسلق التلة باتجاه الفيلا، فركض

هرّ جايك برأسه ثم سألته:

«وعائلتك يا لاتيير؟ هل الجميع بخير؟ كيف حال ابنك هذه الأيام، اعني الابن الموجود في الجامعة؟ هل تعتقد بأنه سيتخصص في الفيزياء والكيمياء؟»

ابسم لاتيير وأجاب بحماس وفخر:

«انه يرغب في ذلك يا سيدي. واعتقد ان نتائجه حتى الآن مرضية. انه في السنة الثالثة، كما تعلم. وانا متأكد من انه يقدر لك اهتمامك يا سيدي.»

وحصل جايك الى منزله الواقع في ميدان كيرملاند الذي يضم أبنية فخمة يملكها رجال أعمال أو حرفيون ومهنيون. وكان لاتيير يعيش مع زوجته، التي تعمل كمديرة منزل في بيت جايك، وبقيّة أفراد عائلته في شقة حديثة ملحقة بالفيلا ولكنها خاصة بهم وتثير إعجاب وربما غير الأصدقاء والأقرباء. أوقف جايك سيارته أمام البيت فما كان من سائقه الا ان نزل قبله وفتح له الباب قائلاً:

«هل مستحاجني بعد، خلال هذه الليلة يا سيدي؟»

رفع جايك طوق سترته ليودّع عن عنقه هؤلاء الليل البارد وقال:

«لا اعتقد، شكراً. بإمكانك الآن ان تضع السيارة في مكانها.»

«حاضر يا سيدي.»

صعد جايك الدرجات الست وفتح الباب بفنائه الذي لا يفارقه وتوجه نحو القاعة عبر مدخل جميل رائع. وهناك لاحظ ان الأبواب التي تؤدي الى غرفتي الطعام والاستقبال والغرفة التي يستخدمها كمكتب خاص كانت جميعها مغلقة على غير عادتها. أين هي هيلين؟ كانت دائماً تحضر لملاقاته واستقباله عندما يعودا لم تسمع صوت السيارة، أو فتح الباب واغلاقه؟

رمى سترته بدون اكتراث على أحد المقاعد وهمّ بالخروج. وفي تلك الأونة فتح الباب الذي يؤدي الى المطبخ والطابق السفلي حيث يسكن السائق وعائلته، ودخلت منه مديرة المنزل السيدة لاتيير. حينه يتهللج قائلة وهي تأخذ سترته لتعليقها في غرفته:

«مساه الخير يا سيدي، وأهلاً بك. هل كانت رحلتك موفقة؟»

ولعل ذلك افضل عمل اعمله. فلا بد ان نكتشف من هم زوارك». ولما نخطيا عتبة الباب، وجدنا مانيلا، وهي سيدة متقدمة في السن، تقف في الممر وقد عقدت شعرها على شكل كعكة عند مؤخر عنقها. فنظرت الى سمائها والارياح باد في محياها: وخطبتها بالاطالية وهي تشير الى باب اليهود: «عندك زوار من ميلانو».

عسيت سمائنا لان مظاهر الحلم اخذت تطفئ على يومها ابتداء من الرسالة الرلزالي، وانتهاء بالزائرين الغريبين. لقد بدأ عالمها المحدود يتسع على نحو خفيف.

وقف بينو في القاعة ينتظر عودة سمائنا التي دخلت لكي تلبس ثوباً لائقاً. وعادت بعد بضع دقائق وقد نشدت شعرها حتى كاد يحجب، ولفته بتدليل من القطن الاصفر صنعته يدها. لم تكن تلك مالاً كافيّاً للاتفاق على ملابسها. واكتشفت ان شراء القماش من السوق وخطبته يدها يوفر لها بعض المال لشراء الحاجيات الضرورية. وهنا سألت بينو: «هل ابدو لائقة؟».

خفص رأسه مطرقاً لانها تبدو جميلة في عينيها كيفما كانت. ففطرة واحدة اليها تكفي لكي يندفع الدم في عروقه وينض قلبه بعنف. قريباً له، وقريباً جداً! ينبغي ان تقترب به. فهو لا يستطيع الانتظار مدة اطول. لقد ارادها بكل جوارحه. انها تبدو بشرتها الشقراء وشعرها الفاتح مختلفة عن بنات قومه ذوات الشعر الاسود. وقد تأخر فراها كثيراً. فلو كانا متزوجين عندما وصلت الرسالة هذا الصباح، لما امكنها ان تتحدث اليه بنفس الطريقة ولكانت عندهك زوجته، وأما لطفله البكر. ربما.

وتجاوزوا عتبة زحمة الاستقبال ليجدوا رجلين جالسين على مقعدين متقابلين يدخان ويشربان القهوة المرة التي غلتها لها مانيلا. وكان الزائران الجالسان يكبران الشابين الداخلين سناً، اذ كان اصغرهما يناهز الخمسين من العمر. ولما دخلت سمائنا، وقفا باحترام. ثم تقدم اكبرهما سناً محيياً. وسألها بلغة الانكليزية تغلب عليها اللكنة الايطالية:

«هل انت الانسة كينغزلي؟».

«اجل، انا هي».

صافحت الزائرين التوقرين وقد خالتهما شريكين لوالدها، خصوصاً وانها قدما من ميلانو. ولعلها قدما لامر يتعلق بالمعرض. ثم استأنف الرجل حديثه مبشراً:

«اسمي آرثورو ميوني. وهذا شقيقي جيوفاني. انا عاصيا وكذلك. وهنا تردد قليلاً:

«هل تتكلمين الايطالية يا انسة كينغزلي؟».

ابسمت سمائنا وخضضت رأسها:

«استطيع التحدث بلغتك اذا كان هذا اسهل».

فتحول الرجل الى الايطالية:

«حسنًا. تسلمنا جواباً من جدتك، ونأمل ان تكون قد تلقت خطاباً مشابهاً...».

«هل هذا صحيح؟».

اخرقت سمائنا:

«هذا ما حدث بالضبط. ولكن، على الاقارب بانني لم اكن اعلم ان في اقرب. فاني لم يخبرني شيئاً عن هذا الامر».

«اعلم هذا. اما الآن، فقد طليت البنا جدتك ترتيب سفرك الى انكلترا. فهل اوضحت لك ذلك في رسالتها؟».

«اجل. الا اني لم اتغلب على صدمتي الاولى بعده».

فعلق الرجل الاصغر سناً متكلماً للمرة الاولى:

«وهذا مفهوم. ولقد نصحت والدك دوماً بان يطلعك على الحقيقة

احتمائاً مثل هذا الحادث المؤسف. لكنني احسبه وجد صعوبة في اعلامك

بالحقيقة التي عشت طويلاً دون ان تعرفها. ولعله خاف بعض الشيء».

«وخاف؟».

«اجل. كنت انت المبرر الوحيد لاستمراره في الحياة. ولمعرفة ان لك

أما في انكلترا، لكنت اصبورت على العودة الى وطنك ومقابلة والدتك.

ولعله عشي ان تفضلي طريقها في العيش والحياة على طريقته».

«آه! كيف يسهه ان يفكر بهذه الطريقة؟ كان يعرف اني مفتونة بالعيش

هنا، وانني لم اكن لآتريه وحده».

واخست سمائنا باضطراب شديد. فتوصل اليها الزائر بان يهدي».

روعتها:

«ارجوك الا تزعمي نفسك. فقد مات والدك سعيداً لانه لم يجرّدك بالواقع، واستطاع ان يكتف حياتك وفقاً لمفهومه. ولا اظنه كان بطمّح الى اكثر من ذلك».

«هذا واضح».

لم تثن سمانتا عما قاله. وتكلّم آرتورو سيّوني بلهجة تنزع الى الجدبة: «والآن، دعينا نتناول التفاصيل. ان جدتك تريد ان تسافر من ميلانو الى لندن في اقرب وقت ممكن. وبالامكان نصفية اعمالك هنا بسهولة طبعاً. اما الفيلاء، فكبيرة، ولا يمكنك استئجارها بمفردك. وينبغي ان تكوني قد قررت بعض الامور المتعلقة بمستقبلك».

فهمت سمانتا بشيء من الحياء وقد احتلت احد المقاعد فيها امتنع لونها:

«ليس هذا صحيحاً بالضرورة».

وتخلّصها فجأة شعور بضخامة الامور التي يتوجب عليها ادائها. وانتابها الوهن: «فأتملها آرتورو بقليل وصاح:

«اعذري». فلا بد انها كانت صدمة عيفة لك. ولقد حاولت بحماقتي الموهوبة ان استعمل قرارك لان جدتك اوجت لنا في رسالتها بضرورة الاسراع في العمل، مما دفعنا الى وضع تصورها في حيز التنفيذ».

وتشجعت سمانتا وهي تفكر بالفجوة التي قامت بين والدتها. وتوصلت بنتيجة معرفتها الحساسة جون ورفاقه حسه الى التكهن بان والدتها قد أدته اشد الاذى حتى حرم امتعه وهجر بلاده. وقالت آخر الامر:

«اجل. لقد فهمت... و... ولعله افترض اني ساذج الى انكفرا عند وفاته مع انه لم يرجع بنفسه».

فعلّق جيوفاني:

«الزمان قليل يتغير امور كثيرة. اما الظروف، فتتغير هي ايضاً، وبصورة اكبر. كان والدك يعرف ان ما يشكل قاسماً مشتركاً بينكما لن يدوم الى الابد. وينبغي بالتالي ان تعرفي الحقيقة وتفروني بنفسك الطريق الذي تختارين. ماذا يمكنك ان تفعلي؟ هل تفكرين بوظيفة معينة؟».

فاوضح بيتو بحدّة:

«انا غفويان. اليسك الخطوبة بحد ذاتها وظيفة؟ ام انك تعتبر مستقبلها غير مضمون بين يدي؟ ولماذا يؤمن لها شخص غريب ما استطاع توفيره انا؟ وبعد...».

تهدت سمانتا وهي تخاطب بيتو:

«بيتو! لسنا غفويين. كلا، انا لم نخطب بعد! ارجوك! اني بحاجة للتفكير».

فهز آرتورو كتفيه:

«اذا شئت البقاء في هذه البلاد يا آنسة، فسنعلم جدتك بالامر. فلا حاجة بك للاتصال بها او الكتابة اليها اذا لم تكن لديك الرغبة وتوارك الآن في يدك اذ يسمح لك سنك باختيار الطريق الانسب».

مرّرت سمانتا لسانها على شفتها العليا قائلة:

«اشعر بالفضول طبعاً. فهل تدريان سبب انفصال والدي؟».

رد جيوفاني:

«انها مطلقان. هذا كل ما نعرفه. لقد ائتمنا «دك على سره. ثم انا لا تعلم القصة بكاملها. لذلك من واجبك ان تكتشفها بنفسك».

«حسناً. فهمت».

اهت سمانتا شرايها، ووضعت الكوب على المنضدة لتأمل بيتو المكفهر الغاضب.

ثم خنت رأسها قليلاً، ولوت اصابعها قائلة:

«لقد جان وقت الغداء. فهلا تفضلنا ايها السيدان بتناول الغداء معنا؟».

فانقسم لها جيوفاني:

«هذا لطف كبير منك يا آنستي. انا عمتان لدعوتك».

طمأنتها سمانتا:

«وساعطيكما جوابي المنتظر بعد الغداء».

كانت ماتيلد تعمل في المطبخ عندما خرجت سمانتا للبحث عنها. وقد تركت بيتو مع ضيفها. وجلست على الفوح الذي عملت ماتيلد عليه، واخذت تشرح لها بشأن كل ما حدث. فلم تقاطعها السيدة العجوز. وعرفت سمانتا انها مستفصدا كثيراً ان هي قررت السفر.

وبينا غسلت ماتيلا الحضر واعدت السلطة، تأملت سمائتا بحيرة.
ثم سألتها:

«هل ستعطين الى انكثيرا؟»

«قلت كلمتها معنى القرار، فبدا الاستغراب على وجه سمائتا:

«هل تظنين ان علي الذهاب؟»

«كتفت ماتيلا بهز كتفيها:

«لست ادري يا سمائتا. لكني اعلم امراً واحداً، وهو انه اذا لم تذهبي، فانك ستساملين طوال عمرك عما اذا كان يجب ان تذهبي ام لا. ما هو مبرر وجودك هنا؟ الزواج من بيتو الشاب؟ من يدري ماذا يعمل بكما بعد خمس سنوات من الزواج؟ لعلك لن تقفني بحياتك كما كنت تحلمين. ولن يكون لك مهرب ساعدك لان عقيدتنا لا تسمح بالطلاق. تأكدي من حقيقة مشاعرك قبل التزامك بهذا الرباط».

«آه يا ماتيلا! انك تصورين لي امراً جيفاً».

«لست اقوالي صحيحة؟ الا تعبرين الرواية، واثت في ميعه الشباب والعالم لا يتسع لاحلامك امراً خيفاً وموحشاً؟ هل ترضين فعلاً بانجاب عدد من الاطفال ورعايتهم؟ بيتو افضل شاب في القرية. لكن بيتو ايطالي. اما انت، فلا. وارجو ان تذكرتي ذلك دوماً. قانت لا زلت انكليزية بالرغم من كل ما فعلته في الماضي، وبالرغم من طلاقك في تكلم الايطالية. اني اأسف اذا كنت كمن يقلل من شأن ما عملته. غير انك تعرفين اني علي صواب. لقد قرر عقلت قراءه النهائي. اما عليك، فلا يزال متردداً ومقلداً. تريدان الحصول على افضل ما في الحضارتين والعالمين، كما ترغبين باختيار الزواج لفترة. غير ان الزواج ليس مؤقتاً او لغرض الاختيار. اما الزواج الثمان الحبيب على ذاك مدى العمر. وارجو ان تحفظي ذلك جيداً على الدوام، اني ذهبت واياً من الرجال تزوجت».

وجهت سمائتا النظرة نحو الى ماتيلا:

«انك مصيبة يا ماتيلا كماعتك. ولكن، ماذا عنك؟ ماذا ستفعلن؟»

«قلت وجه ماتيلا ابتسامة هادئة:

«ولقد تقدمت كثيراً في السن حتى اصبحت لا اكثرت بإمكان الاستغناء عن عملي. وشقيقتي المقيمة في رافنا ستسعد بصحبي. لا تخشي شيئاً علي

لاني لن اجوع مع شقيقتي الميسورة الحال. اهتمي بنفسك فقط. اذهبي واحصلي على مائتاتين دون ان ترضي بما هو دون مستواك قيمة، وعلمي الجميع على اهم انداد. فهكذا لن تحطقي كثيراً».

وافقتها سمائتا على رأيا مبسمة:

«حسناً. سأخبر الاخوين سيوي بالامر. واني اشكرك على نصيحتك.

ولا شك اني ساقفك كثيراً».

«اذا حدث ان عدت، فزورينا في منزل شقيقتي في رافنا. لا تضطربي، بل كوني صادقة وقوية لكي بتحقيق لك النجاح في حياتك. ففوة الارادة ووضع اهداف بعلان معظم المشاكل في الحياة. لا تصرفي كالاولاد، قانت شابة، اغا تصرفي كما يليق بفتاة في عمرك، وحافظي على استقلالك في التفكير».

«كان بيتو يميل مكشياً على الشرفة عندما خرجت سمائتا اليه لتبلغه ان الغداء جاهز. فالتقى عليها نظرة حزينة جعلتها تحسن بالذنب لانها سببت له هذا الانقباض. ثم سألتها مهتماً:

«انك متضايقين اليس كذلك؟»

«هزت سمائتا كتفيها:

«علي ان اذهب يا بيتو».

«لا افهمك يا سمائتا علماً بانني كنت اعتبر نفسي قادراً على فهمك. غير اني اكتشفت خطئي».

«فيسطت سمائتا يديها يأساً:

«هل تريدني ان اتزوجك، ثم اقضي بقية عمري اتساءل اذا كنت فعلت ما هو صالح لي؟».

«بالطبع، كلا. ان الشك لم يساورنا قبل وصول الرسالة صباح اليوم».

«ولم يكن هناك اختيار آخر. وارجو ان تفهمي يا بيتو. فانا لم اترك هذه البلاد منذ كنت في الرابعة من عمري».

«وانا عشت هنا طوال حياتي».

«لكنك ايطالي».

«وستصبحين انت ايطالية مثلي عندما نتزوج».

«واسمياً فقط يا بيتو. فانا انكليزية».

ولم يكن اعرف ان هذا يزجك من قبل.
 واه يا بنتوا حاول ان تفهمي.. ابي افكر بك كثيراً.. ولذا تسبي لي
 المعمر مصبح بالمكان رؤية الاشياء بمنظار صحيح.. فذا كنت احبك
 سأرجع اليك.. وانت تعلم ذلك.. اما اذا كنت تحبني.. فعليك ان تعلم ان
 الحب لا يموت بمجرد ابتعاد الجبين عن بعضهما..
 علا التجهيم سيءا يتوعد ان عرف انها عتقة في اقوالها.. الا انه ظلي
 على خوفه من تأثير البعاد عليها.. خصوصاً وانه لم يكن يثق بحبها له كما يثق
 بحبه هو... مع انه لاحظ رغبتها الصادقة في عقم ابنته.. ثم خاطبها
 ببرودة:

«اذا كنت مصممة على السفر، فليس بوسعي ان أمنحك من تعقبك
 هناك».

فاجابه بحزينة:

«بل بإمكانك ذلك.. قالت قادر على ان تأمرني بالبقاء هنا.. وسيتخذ لن
 يكون بوسعي الاعتراض على مشيتك».

فهو يمشي وأمامه متهدداً:

«صعدت لكي لن اجعلك تفقد هذا الموقف المخرج.. قالت امرأة خرة يا
 سمائنا.. ولكن.. ارجوك عودي الي».

فاحترت سمائنا فجعلاً وجهاً:

«عندما تنظر الي نظرتك هذه يا بنتو، اتنى لو اني لم ار الرسالة قط».
 رد عليها فتأوها:

«وانا كذلك.. اما الآن، فيسعي ان تعطي جوانبك للأخوين مينوتي».
 اجابته سمائنا:

«أجل.. وسوف اعمل بما قريب لكذا تصرفت اني على هذا النحو.. واني
 أأمل الا تكون قاسية وخفيفة كما يظن الي».

٢- حب في الطائرة

اجتاز باتريك مالوري مدرج مطار ميلانو المعبّد تعريداً مطناً، وجشمت
 أمامه الطائرة البراققة التي منتقلة الى لندن، والحياة الصاخبة التي ابتعد عنها
 للاستمتاع بفترة جلوس قصيرة.. ولعلها شعر بالأسى وقت مفادته ايضاً
 بعد فضاء مدة فيها.. فهذه موطن أمه التي قضى في صحتها أربعة أسابيع في
 فلبها الواقعة عند ضفاف بحيرة كومو حيث استحم في أشعة الشمس
 وتقمع باسترخاء تام.. اما حياته في لندن، فمحسومة بالعمل ومرهقة
 للاعصاب تبعاً.. وقد كانت اجازته متعة فعليه.. ولم يحس قط انه كان في
 حال احسن من حاله الآن.. وقد استمر جلده واستعاد نشاطه واستعد
 لاستئناف عمله ولجمل مسؤولياته في لندن.

كان باتريك في اواسط العقد الرابع من عمره، جذاباً طويل القامة
 نحيلها.. وكان شعره فاحم السواد، في حين كان يعزو سحرته الى كون
 أمه ايطالية.. اما عيناه، فكانتا تشعان ببريق غامض عندما يرسم التهكم
 على تعابير وجهه.. ولم تبلغ تسماته مستوى الرسامة، الا انه يتمتع بسحر
 غريب له جاذبية أسرة.. وقد فطن الى الاثر الذي يتركه على أفراد الجنس
 التلطيف.. كما كان يوسع الافادة من قدرته هذه بشكل يتلام مع اغراضه..
 ولم يعيش ستة وثلاثين عاماً دون ان يعرف العديد من النساء.. لكنه وجد من
 جميعاً من نفس الطينة وعلى نفس النمط..

ومرر بده بسرعة فوق شعره القصير، ثم ارتقى السلم للوصول الى
 مدخل الطائرة حيث استلمته ابتسامته اللطيفة الجذابة، فاحجل مضيقه الشاب..
 وقادته الى مقعده حيث التقى حطية اوراقه بجانبه، ثم ملأ رجله بالرائحة.

hinda70

www.lilas.com

ولما اضحى في طريق عودته فعلاً، انتقل بفكره الى لندن والى مشاويره
الليلة. فهناك على سبيل مثال المسرحية القديمة، التي قد تحتاج بعض
فصيحوا الى إعادة كتابة.

كان جو الطائرة الحار سييرة بعد اقلاعها، فخذ باتريك يداً كسولة لفك
زر قميصه الاعلى الغفلي برحلة غشة المعقودة بدقة بالغة، وهكذا لم تعد
الرحلة تتطلب منه مزيداً من الجهد بل يكف بذلك بإمكانه ان يغرق في مقعده
ويتمتع بالتخليق.

وتحول بفكره الى المرأة التي شغلت معظم اهتمامه اثناء عطلة. انها
تنظره في لندن. وتساؤل عما اذا كان الوقت قد حان ليفكر جديداً بمسألة
الاستقرار العائلي، فحياة العزوبة جميلة، الا ان فكرة الاستقرار في اسرة
يشكلها راقته. وقد اعزبت امه، التي تريد ان يتزوج وينجب الاطفال،
عن الرأي نفسه عندما تناقشا في امور حياتها. فهي تريد ان يعتبر يشغفه
الشروجة منذ ما يزيد على ثمانية عشر عاماً، وبالأدلة البينة. صحيح ان
جيني تكبره بعشر سنوات، لكن يجدر به ان ينحى بفكره هذا المنحى على
ما يظن.

والقن نظرة خاطفة على مياي المطار عبر نافذة الطائرة وقد اوشكت على
الاقلاع. وسره علم اصرار والبنية على اصطحابه الى المطار لوداعه، فهو
يكبره الوداع الطويل لاسيما في الاماكن العامة.

واسرعى انبياحه شباب وفاة واغفلان عند اللبابة الموصلة الى حائزته.
وبدا الشاب مختافاً. كما تحول الى باتريك ان الشاب اخفق في محاولته
معاينة الفتاة ولما حقق هدفه اخيراً، افادت الفتاة منه وانصرفت على السروح
صوب الطائرة. والواضح ان الشاب كان يشبع الفتاة ان تقاطع حيث
انقلب رداً عنها عاطفياً ولم يعد يوسعها السيطرة على مشاعرها.

وجد باتريك في المشهد بعض السلوى. فالتفتة انكليزية على ما يبدو.
الا ان المرء لا يستطيع الحكم على هذه المظاهر في ايماها الحاضرة. فربما
نشأت الفتاة اثناء اجازة وتحت بسرعة تحت اشعة الشمس الحارة، او ربما
كانت انطالية تغادر موطئها للمرة الاولى لسبب او لآخر. واعتبر باتريك،
بسخرية المألوفة، مشاعرها حارة للغاية. منذ متى كان التشبيب يزخر بهذه
المشاعر الفياضة؟ فهو، شخصياً، لا يذكر ان مثل هذا التفرح قد اتكبه

مرة. ولعله كان غفلوطاً، او احد الأشخاص الذين لا تستحوذ الأحاسيس
على جمل مشاعرهم. وفي أي حال، لم تحذعه أي امرأة. اشعل سيكارة
وقد اغتبط لأنه تجاوز المرحلة التي تحذعه فيها الأزهار المبهمة بالاشوك.
فالذ هو أرواد الزواج. هذه مشروطة الى حد بعيد. . . فانه يستزوج
تصورات بعيشية، لا الخواضع عاطفية.

ومشت الضبية بعد دقائق معدودة في البحر الممتد بين المقاعد بضحية
الضيعة، التي اجسستها على مقعد بجوار حريك. وتطلع اليها الاخير
باحتماء ليكتشف انها تبدو عن قرب حذابة للغاية. واعجبه استدال شعرها
توق كنفها.

ولم تنبه سمائها بالذي الامر الى تفحصه لما يسبب اهتمامها في مشاعرها
الشخارية. ولا حظ اهتمامها السوداء الطويلة المجلدة، وبشرتها القشدية
السمر عند طرف ثقبها. ولم يحاك ثوبها آخر انصرفت، اما حذاءها ما كان
يلا كمين ولا يثير الاعجاب. لكنه رأى انها تنظرت الانظار ان هي ارتدت
الملابس الثلاثة. وفجأة فطشت سمائها الى وجوده بقربها، فزمت نظرة
خاطفة. والتفت عينا باتريك بعينها لحظة. فلم تزعجه تغير وجهها
الشديد الحمرة. ولحّت مير حقية يدها حول أصابعها.

ودبت الحياة في محركات الطائرة بعد دقائق. وكتبت امام الركاب
ملاحظة ضمنية تذكرهم بضرورة الاقلاع عن التدخين مؤقلاً وشدا احزمة
لامان حولهم.

وربط باتريك حزامه بسهولة توخي بطول امرانه. اما الفتاة، فتعاملت
مع حزامها بارتباك. ولم يتمالك باتريك نفسه من سحب الحزام من بين
اصابعها المراهية وشده حولها باحكام. فهمست منهية. وقد برزت
سنانها البيضاء.

اكتفى باتريك بمداستها الاستم. فيها اظفا سيكارة. وشرعت الطائرة
تحرك ببطء وثبات الى ان أسرع في سيرها فوق المدرج.
ومسكت بذراع مقعدها، بينما وجد باتريك نفسه يراقبها ثانية. فانتفض
خوفها، الامر الذي ملأه اشفاقاً عليها عن سانه لا يتم عادة بالمستقرين
الضطربين. ثم خاطبها بارتياح:

«اسرخي! لقد بدأ تسبح في الجو. هل هذه أول مرة تطيرين فيها؟»

حرفقت. ثم اجابته:

«اجل، على ما اذكر. لكن يبدو اني جبانة».

من باتريك كتبه العريضين:

«اعتقد ان جميع الناس ينجون احياناً. وعملية اطلاق الطائرات خفيفة للذين لم يلقوها».

ثم التفت الى الاعلى وقال:

«هنا انا التينا. بل يمكنك ان: حلّ حزام الامان».

«اشهد ذلك».

واراحت الحزام، ثم استرخت في مقعدها.

وحلّ باتريك حزامه، فيما غم لسانها عليه الشكاير الرقيقة المصنوعة من البلاستيك والتي حشرت عليها حروف اسمها الاولى:

«هل تدخين؟»

اخرجت سيكارة غائلة:

«الشكر».

ثم التحث الى الامام لتشغل طرف سيكارتها بواسطة ولائحه. وراجعت الى الوراء بعد ذلك لتامله عن كثب.

واشعل باتريك سيكارة لنفسه. واخذ يتسلسل بشيء من المزج عن سبب تشالته هذه الفتاة الى هذا الحد. فهو نادراً ما يحدث المسافرين معه في الطائرة خوفاً من ان تتحول احاديثهم الى محادثات عميقة. وان ذلك، فلناس عامة مقاصد خفية من التحدث الى رجل شهير مثله. وقد ازداد خشوه من الملاحظات المباشرة التي توجه اليه، وغالباً ما كان يقرأ لويديرس بعض جوانب من عمله أثناء طيرانه.

غير ان الفتاة لم تكن من هذا النصف من الناس اذ لا يبدو انها عرفت، او ارتطبت بعالم المسرح والفنانين. وقد اكدت ملاعبها القديمة الطراز هذا الزاكي. واجد حجة من سيكارتها. ثم تفحصها بعينين حقيقتين وسألتها:

«ما اسمك؟»

تردّت على الفور:

«سمائلا كنغزلي. وما اسمك انت؟»

«أنا».

تردد باتريك خشية ان يقضخ امره. فان كانت الفتاة لم تعرفه بعد، فإن اسمه سيبلغها عليه. لكنه قال مرغماً:

«باتريك ماثوري».

لا ريب انه صدم ان كان يتوقع ردة فعل معينة من الفتاة. فمن الواضح ان اسمه لم يكن خاشعاً. وهنا تنهدت، لانه ان كان لا يزور موبته، فهو يرتاح الى لقاء شخص لا يحلم عنه شيئاً. ثم عاد يسأل الفتاة:

«هل تقصدين لندن؟»

«اجل. ولكن كنقطة انطلاق الى مقاطعة ولششير. هل تبعد هذه المنطقة كثيراً عن لندن؟»

خفض باتريك رأسه وقد برز القرح على ملاعبه:

«نوعاً ما. لقد حسبك انكليزية. ومع ذلك فانت لا تعرفين الكثير عن انكلترا. الا توافقين؟»

«ان انكليزية. وقد ولدت هناك على الأقل. لكن عشت في إيطاليا منذ كنت في الرابعة من عمري».

نجم بها باتريك:

«أه، فهمت. انك لم تزوري انكلترا منذ ذلك الوقت؟»

«كلا، ابدأ. فوالدي لم يرغب في ذلك».

وصمتت سمائلا مرهة. فاحس باتريك انها تضمر اكثر مما تقول. فقال له:

«الفضل ولم يمنع نفسه من السؤال».

«اليس والدك مسافراً معك؟»

«كلا. فوالدي متوفى. لقد قتل قبل شهر من اليوم».

«ان اسف».

وتأمل سيكارتها لحظة. يبدو ان اسم كنغزلي يعني له شيئاً. وبعد ان اخبرته انه والدها قد قتل، تذكر ابن سمع هذا الاسم. فسأل ببطء:

«جون كنغزلي، هو والدك، اليس كذلك؟»

طرفت عينا سمائلا وهي تجيب:

«اجل. لماذا... هل كنت تعرفه؟»

«ليس بالضبط. لقد التقيت في مجرعه في ميلانو. وكان معروفاً دائماً. وعليه، لا ريب ان لقاءنا تم قبل...»

فاحلقت سمائنا شهيدة:

وصحيح. اني لا ازال اشعر ببعض الضياع و... وهل اعجبك
الشحنات؟

سحلي باتريك سيكارتته، ورد:

كثيرا. وهكذا، فقد يثبت الان؟

ترددت سمائنا:

وليس بالضبط.

وترققت بارتيك. اما باتريك، فوجهها نظرة متحصصة، واتضح لديه
انها لا ترغب في التحدث عن مستقبلها القريب. فقير الموضوع وانتقل
بالحديث الى شؤون عامة مثل الكتب والفن والموسيقى. ولم يزعجه حديثها
الجنجل نوعا ما، بل انه فرح بالعمور على فكرة لم تصقلها الحياة والتجارب كما
يلزم. وقجاءه، ماله:

والعبرني ماذا تعمل؟

اشغل باتريك سيكارة اخرى. وفكر انه يدخن كثيرا اليوم. ومكنته فترة
الصمت القصيرة من التفكير قبل ان يجيب باقتضاب:

واني اعمل كاتبا.

وماذا تكتب؟

هو باتريك كتيبه. ولم يرغب في التورط بحديث يتعلق بعمله. ولشدما
ارتاح اذ دنت منها المضيقة لتساها عما اذا رغبيا ببعض الشراب.
فوجئت سمائنا بالترتيبات الجديدة عليها. وكان وقت الغداء قد حان،
فتمت على المضيقة قائلة:

دارجو ان تحضري لي بعضاً من عصير البندورة.

غير ان المضيقة لم تكتفِ الا لباتريك مالوري الذي عجزت هويته
جيدا. وانكرت متى تأثروا في هذا المسرح. والى ذلك، فان مزاياء الجسدية
كانت بعد ذاتها عاملاً يجلب اليه أي امرأة. وانكرت المضيقة على الانبعاد
عنها بعد ان اسمعها طلبه. وهنا سألت سمائنا وهي تلثت انه يمتنع وقد
عصيت شفتها:

وماذا تصرفت المضيقة بهذه الطريقة الغريبة؟

ابتسم باتريك قليلاً فيما اجاب يتلور:

ونظرته شريفة؟

فصجلت سمائنا:

واجل. ولا ريب انك تفهم قصدي. طهبي... حسناً...؟

فتأملها باتريك عبر سحابة من دخان سيكارتته:

واعندما ترداد خبرتك في الخيمة، فلنك لن تطرحي مثل هذه الاسئلة على

احد.

هزت سمائنا كتيهها:

والن افعل؟

قدّم الغداء بعد قليل. وكان وجبة شهية مع انه طهبي قبل القلاع
الطائرة. واقت سمائنا نظرة على عالم السحاب القطني الممتد تحت
الطائرة. وتعبجت لاستفطاع الناس الطيران. فلم يكن هناك شيء على
الاطلاق يمكن رؤيته. ولم يختلف السفر في الطائرة عن ركوب السيارة في
موطنها او بلدها.

بلدها؟ عليها ان تتخل عن التفكير بان ايطاليا هي موطنها وان بيرونيو
هي قريتها. فليصبح موطنها عما قريب في مسكن دافئ في مقاطعة وتشاير
الانكليزية. ولا مجال للرجوع عن هذا القرار.

كان هي عادت الى ايطاليا، فسترجع لتزوج بيتو. الا انها اكتشفت انه
كلما زادت المسافة بينهما، كلما تضاملت الروابط التي تجمعهم.

وانتهزت فرصة فراغها من غذائها لزيارة دورة المياه المخصصة
لنساء. ففصلت يديها، ومزحت شعرها. ولححت الخوف في العينين
التي انعكست امامها على حشفة المرأة، فوسخت نفسها. فلماذا تخاف؟ فهي
لا يمكن ان تعجل من أي شيء فعلته، بل الحقيقة ان المرأة التي ستلتقيها
هي التي يجب ان تعجل.

وشدت كتيهها، فيما قفلت راجعة الى مقعدها لتجد باتريك مالوري
منهكاً في قراءة بعض الاوراق التي اخراجها من حقيبته. ولم يتكرم عليها
بنظرة واحدة بينما جلست بجانبه ثانية. وعادت افكار سمائنا الى مشكلة
الساعات الغريبة القادمة. وشعرت ان اضطرابها يتزايد شيئاً فشيئاً، وان
فرحها سينم عندما تغيب شمس اليوم.

وانتقل بصرفها عيها الى رفيقها وكانها مشفوعة اليه، والى ملاحقه

الجذابة، وغروره وسفوكه اللبى ودقة عمله، وتوقعت ان يكون قد عرف العالم على حقيقته وانورك جوهر الحياة ومعناها. وبدأ لها شيئاً، ففكرت انه يناهر الثلاثين من العمر. وتساءلت عما اذا كان انكليزياً، وذلك لان اسمه أكد انه انكليزي، في حين برزت ملامح أجنبية على بشرته السمرة وعينه العسلية. عيان كمعني الغر. بل ان سمائها رأته فيها شيئاً بعيني النمر الذي شاهدته في سيوك جوال. وفكرت فيما اذا كان خطراً مثله. ان من السهل التحدث اليه. ولذلك يمكنها ان تفهم المتخو اي امرأة وانشراحها بما يعيرها من الاهتمام. وقد عامل سمائها وكأنها طالبة ثانوية اكبر منها من وقاها، الامر الذي جعلها تتساءل عما اذا كانت تنصرف بهذه الطريقة. فمن المزعج ان يشعر مثل هذه الرجل انك غير لبق في حين كنت تعتبر نفسك شخصاً بالغاً وناضجاً. وليس من السهل مقارنة اي من رجال القرية بيارثريك مالوري.

وهو الى كل ذلك كاتب. وحاولت ان تستقصر عما يمكنه. لكنه لم يشأ التحدث عن الامر. اما المصيفة، فمن الواضح انها تعرفه. كما انه شخصياً توقع ان تتعرف سمائها عليه من خلال اسمه، والتصرف عن هذه الخواطر للتذكير ببينور الذي اصر على مرافقتها الى المطار وتوديعها هناك. لكنه تصرف بالطريقة التي كانت تتوقعها. بعد ان رضى ومكث مبدئياً بالواقع، ارتسم العيوس والاشياء على بحية ثانية. واعتقدت سمائها ان اهله هم الذين يتحملون العلامة اذ لم يتقبلوا فكرة سفرها الى انكلترا، حتى ان والدته كشفت عن قلة ذوقها واحسانها. وصاحت في وجه سمائها:

«ان بيتو يحتاج زوجة لا امرأة تضادفها الالهواء كما تضادف الريح القصية. فتندفع كالسهم الى انكلترا لمجرد توديعها ان لما هناك اقارب لم ترهم منذ سبع عشرة سنة. لذا لا نلومي بيتو اذا تزوج باخرى اثناء غيابك. فكثيرات من فتيات القرية على اتم الاستعداد لانتهاء الفرصة.» وسمعت سمائها كلاماً كثيراً من هذا القبيل. فتأففت القرية وهي تعرف انها لن تزورها ثانية على الارجح. وهذه الحقيقة مسؤولة بشكل رئيسي عن الحزن الذي انتابها. فهي قطعت كل صلاتها بالماضي. وهناك عروسان شابان من بلدة واغا يشغلان الفيل الا ان. اما ماتيلد، فقد انتقلت الى واغا لتعيش مع شقيقاتها. وسمائها تشعر في هذه الاثناء بانتقالها

السريع من مرحلة الى مرحلة خصوصاً وانها لم تربي على صلات، بمسئلتها في ابغاليا. ومن يدري!

وتقطع بيارثريك عليها افكارها اذ قدّم لها سكاكة اخرى «ارى انك غرقت في تفكير عميق».

ايسمت سمائها ابتسامة ملؤها الحزن كما قال بيارثريك: «اجل. ولكن، هل انتهيت من عمالك؟».

هز بيارثريك كتفيه واجابها بصورة ملتبسة:

«لا اخالني بأنهي من ابداء».

تهدت سمائها بعد ان استوعبت كلامه وسألته:

«كم سيمضي من الوقت قبل... ان نحط في لندن؟».

نطلع بيارثريك الى ساعة:

«ربع ساعة تقريبا. هل سيبقيك احد في المطار؟».

«اجل. ستكون جثتي في ابغاليا».

«حسناً. وهل ستوجهين جوراً الى وتشاير؟».

«لما كنت سمائها رأسها بحركة سريعة:

«لست ادري. فجلدي مقيمة حالياً في فندق صافوي. ولست اعرف بالضبط ماذا توي ان تفعل».

«صحيح؟».

ترك قولها انطباعاً حسناً في نفس بيارثريك الذي لم يتصور ان هذه الشابة

الزرة الثلاثين من الناس الذين يقضون في فندق صافوي. لكن المظاهر

تخدع المرء احياناً.

«امل ان تحببك لندن».

«وهل تحبها امت؟».

رفع بيارثريك حاجبيه متكامل:

«انها مكان صالح للعمل. الا انني افضل مكاناً اقل هدوءاً عندما

يسمح لي وقتي بذلك».

فعلت سمائها:

«آه. اني امل ان اعيها».

«وهل هذا مهم حقاً؟».

فلبيكت سماتنا اصابعها بخوف. وازدادت حيرة باتريك. الا انه تغلب على فضوله. فهو يهتم بالشمس بصفته كائناً. وقد وجد في سماتنا موضوعاً مغرباً أوحى له بالكثير. ورأى انه من المحزن ان تغير الحياة التي تأمل سماتنا ان تستمتع بها. يقول هذه الغنة الطبيعي للعالم واقبلها عليه. جعلت الطائرة عند الواحدة والنصف بتوقيت لندن. ورفعت سماتنا معطف البولين الرقيق الذي ألقته بجانبها. ثم قصدت باب الطائرة مرتفعة. ولحق باتريك وقد سره التعبير الذي علا وجهها عندما لفحتها الهواء الرطب المتدفق من خارج الطائرة. وكان يوماً خريفياً باوذاً. فشلت سماتنا معطفها حولها وهي ترتعش. وابتسم باتريك لها. فاحسنت انها صغيرة امامه هو الذي يبلغ طوله ستة وثلاثين سنتيمتراً ويتنعم بكتفون عريضين وجسم يضيئ تلويحاً حتى التوركين. ثم خاطبها متندراً: «القطنس دافئ. نسيتاً اليوم. ولكن. انتظري حتى تخبري النساء الانكليزي».

رفعت ناظرها اليه. فرأت فيه آخر حلقة تصلها بالاشياء المألوفة في عالمها. ومحتت بعذوبة: «كأن والدي يقول دائماً ان منافع انكسرتا شديد البرودة». وتبعه باتريك الى شيء غامض داخله دون ان يستطيع تحديده. الا انه شعر على حين غفلة انه اصبح مسؤولاً عن الغفلة. فمع انها ليست صغيرة ولا تلتصق بالآخرين طلباً لحمايتهم. غير انها تحملت بروح رقيقة ولطيفة تحسب ان تقيهم بسرعة في ضوضاء هذه المدينة المزدهرة. ثم هبطت السلم معاً. واجتازت المسافة التي تفصلها عن مباني المطار حيث ترفتها المعاملات الرسمية. وانشغلت سماتنا بالاجراءات الغريبة عليها بحيث لم تظن انها لم تعد ترى باتريك مألوف. واحذ قلبها ينفض بعنف نور تنبهها للأمر اذا روعها ما حدث. وتلففت حوضاً بحثاً عن باتريك. بينما كنت يد كتمها. فاستدارت لتجده واقفاً وراءها. مرت لساعات على لفتها فيها تهتت باترياح:

«حسبتك... حسبتك ذهبت».

فجاءت من باتريك الضامة جديده نحوها:

«...».

ضغطت سماتنا اسنانها على شفتها السفلى. وقد تبيت الحماقة في لفتها وعلفت مرتبكة:

«لا... لا شيء».

وضغط على ذراعها بينما طلب اليها بلطف:

«ها اخرج».

وانتقل باتريك سماتنا عبر قاعة الاستقبال الى اليهو العام حيث وقف رجل اتردي بزة عجاوبة بالسائق السيارات يراقبها بطريقة غريبة. فسأل باتريك الفتاة:

«هل تظنين ان له علاقة بجذورك؟».

مزت سماتنا رأسها:

«لست ادرى. هل اتوجه اليه بالسؤال؟».

«كلا. انظري الى شعره الأبيض. مأسأله بنفسه».

وعاد باتريك معه يضع دقات بصحبة السائق ليخبر رفيقته:

«ان ميارتك تنتظرك. هل كل شيء على ما يرام؟».

وتطلعت سماتنا اليه:

«اجل. اشكرك شكراً جزيلاً».

واجابها ميتساً:

«ولا حاجة للشكر. لا تضطري لانك مستكونين بخير».

وتصنعت سماتنا ابتسامة خفيفة قبل ان تستدير وتلحق بالسائق. غير اليهو الواسع. ثم خرجا الى الشارع المزدحم بمحاذاته حيث وقفت سيارة رولز رويس ضخمة بالنظار سماتنا. فساعدتها بارنوز، مساعدتها الأمين... على جد ما قاله عندما عرفها بنفسه... على دخول السيارة والجنوس في المقعد الخلفي.

ومضى السائق ليضع حقيبتيها في صندوق السيارة بينما جلست سماتنا وهي تشعر بشيء من العزلة. وكما تحدثت فوطيت اليه ان تولى في مقدم السيارة. الا انها عزفت عن رغبتها لما ظهر لها من انضباط بارنوز. واصيبت بغربة أمل لعدم استقبال جدتها لها. فقد كانت بحاجة الى الاحسان بانها شخص مرغوب فيه. اما الآن. فما عليها الا ان ترضى بمقعده منعزل في مؤخر السيارة الضخمة. وبارنوز رقيقاً.

ووقفت أمام سيارة الرولز سياره جفوار زرقاء تنتظر ركابها. وبينما
ترقب سمعنا انطلاق سيارتها، طحت بآريك مالوري بخرج من القاعة
وبجانبه سيدة شقراء نحيلة وقصيرة القامة.

كانت المرأة ترتدي معطفاً زاهياً من جلد الثور وكانت أجل امرأة وقع
عليها نظرها. شعرها قصير جداً. وقدماها صغيرتان متناسقاً. انظر
فليها الله. وقلت لوالتي مارتن ألقى بعد دخوله مباشرة. ومع أنها توقعت مثل
هذا الأمر إلا أنها أحسست بالدهشة وقد رأتته يحدث أمام ناظرها فعلاً. فمن
الطبعي أن تنتظر حدوث ذلك لأن بآريك رجل مجتمع خبر العالم، ولا بد
أن تكون حياته مليئة بالأمور.

عندما ألقى مارتن مقعد السائق، وشغل السيارة. وانكثت سمعنا على
مسند المقعد الخلفي المغطى بالجلد الفاخر وهي تنهد. ولم ترغب أن يراها
بآريك مالوري الذي ربما نسي كل ما يتعلق بها الآن.

وحضض مارتن الحائزين الرئاسيين ليستأجر:
وهل كانت رحلتك ممتعة يا أنستي؟
انضمت سمعنا نفسها لتجيب:

«أجل - الشكر لك».

وركن مارتن على قيادة السيارة من جديد. لما سمعنا، فلم نعد ما تحدثه
به. ولعلنا اعتبرها حقاً. لكنها كانت اليوم قد انتهكت عقلياً وجسدياً كمنحاج
بعض الوقت كي تجمع أفكارها. وانطلقت السيارة بيا مسرعة، فيها خيم
عليها الضمض. وانطعت في ذهن سمعنا صورة مشوشة لسيارة مرسيدس
مليدة بالزهر. ومبان شاهقة مكدسة بالرخام في بعض الأماكن. وبخيل
أليها أن مثلت السيارات تطوي الأرض في الاتجاه الذي يسير به.
ونجحت في إزاحة عنصر السرعة. غابت ضحكاً وإزدحاماً واندهاشاً لم
يخبر من قبل. ومع أنها كانت في انكسار، فإنها لم تشعر بالقرية لأن
الانكسار قبل كل شيء، هي موطنها. وهي انكسارية بالرغم من أنها تتكلم
الأيضاً وتتصرف كالإيطاليين. ولما دخلت السيارة إلى باحة فندق
مافري، تحسست مخاوفها الكامنة، وبالكاد اجبرت نفسها على التزجل من
السيارة بعد أن فتح لها الباب.

وتبعها السائق إلى داخل الفندق حيث تكلم إلى موظف الاستعلامات:

وعلا تفضلت وساعدت الأنسة كنغزي على الوصول إلى جناح الالايدي
والسيقة دافنبورت؟

وابتسم بركة، فطرت معنا سمعنا. الالايدي دافنبورت. إن جدتها هي
الالايدي دافنبورت. واضطربت سمعنا لأن هذا كان عبقاً أكثر مما
توقعت.

وحل أحد خدم الفندق حقيبتها. ورجاها أن تلحق به إلى المصعد.
وثانيه الحاضرون تقدم سمعنا بعيون متفحمة ومستغرقة جعلت الفتاة
تتراجع من تشبها إلى العيوب والتفاصيل في معطفها وحذاءها الخالي من
الكعب.

وتوقفت المصعد عند الطابق الثاني. واقترنت الفتاة عبر الممر إلى جناح
جدتها. ووقفت النصي بجانبها ينتظر أن إذا فتحت الحادسة الباب، فترك
سمعنا في عهدها. وحال سمعنا شعر بأنها أشبه بعزلة تنافلتها الالايدي.

ونقشت إن جدتها تيمث الرعب فيص خوفها. على أنها تصورت أنها بلغت
هدفها عندما تناولت الحادسة معطفها بلطف كضمه في الداخل:
وتفضلي بالجلوس. ستوايك الالايدي دافنبورت حالاً.

والشكر لك.

امثلت سمعنا لتعليمات الخادمة، وجلست على الزينة والظلة.
وغادرت الخادمة الحجرة لتعلم جثة الفتاة بأن حبيبها قد وصلت.
ونظرت سمعنا حولها بشغف قوي. ردة واسعة زينت زينة أبقاً بسجادة
سميكة لامت كل الضجرات القادمة في الجدار والمخصصة لوضع الأرائك
والكاتب. وكان اثاث الغرفة فخماً وغالي الثمن. وتبرز جوها بدفء مريح
بالمقارنة مع اقراء الأبارد خارج الفندق.

وفتح أحد الأبواب حد لحظات، ووقفت سمعنا مرتجفة إذ لمحت سيدة
عجوزاً تدخل الغرفة وقد استندت بثقل على عكازها. كانت ضعيفة
صغيرة الجسم بأرزة القمصان غزا الشيب شعرها. وارتدت ملابس
عصرية حريرية بلون الزهر. وتألقت عيناها الشديدة الزرقاء قليلاً.

انصبت سمعنا أمامها وهي تتساءل ماذا يجب أن تفعل أو أن تقول.
وابتسمت الالايدي دافنبورت لها. ثبات اللطف والدفء. على وجهها.
وتجلمست سمعنا من بعض خوفها عندما سمعتها تقول بركة:

وسمانا، يا عزيزتي، هل انت هنا؟

ردت سمانا ببطء:

«جدي؟ ان هذه اللقطة غريبة على فسامعي، فانا لم اعرف ان لي اقارب
ابداً».

وانجست سمانا لتطعم قبلة على وجبة جدتها. وزال التوتر الذي انتابها
فطوقت السيدة المعجزة بشرابها فيما احسنت ان صبيها اقرب وقد بالدموع.
وعلمت اللايدي دافنيورت وقد برق الدمع في عينيها هي ايضاً:
«هذا الطفل، الا نجلس يا عزيزي؟ فرجلاني لم تعودا كما كانتا».
وجلسا جنباً الى جنب على الارصفة. واتخذت السيدة دافنيورت تامل
حفيدتها، ثم قالت اخيراً:

«انتك تشبهين جون اكثر مما تشبهين بريارا. آه يا سمانا! لا تعلمين كم
اشتهيت رؤيتك».

«ولكن، ماذا...؟»

وتوقفت سمانا فيما اجابت جدتها بلطف:

«وسأخبرك بعد قليل يا عزيزي. لكن، دعينا نقاول الشاي أولاً، ثم
نبدأ بالحديث».

واحضرت الخادمة عربية الشاي. فاستكفت قرقعة قناجين الخريف
الصيفي والملاعق الفضية السيدتين فيما بدا انهما تأملان بعضهما اذ لم يكن
بإمكانهما تعريض ما قاتنهما من الزمن.

ولما فرغتا من تناول الشاي، فتعت السيدة دافنيورت لسمانا ميكازة
اخبرتها من حبة صنعت من العقيق اليماني. واتخذت السيدة دافنيورت
على المسند المغطى بالدمس الحريري بعد ان اشعلت الميكازة لحفيدتها.
ثم سألتهما:

«هل تشعيرين بالانشغالي الآن؟»

ردت سمانا مبتسمة:

«اجل، شكراً لك».

«اني اعتار لعدم استقبالي لك في المطار بسبب بعض الاضطرابات في
جسمي المزمع، واصرار طبيبي على أخذ قسط من الراحة كل يوم بعد
الغدا».

«هل عثر يارنر عليك بسرعة؟»

انضمت سمانا وهي تذكر باتريك مالنوري. ثم اجابت بدهشة:

«اجل».

«اخيراً فعل».

وعضت اللايدي دافنيورت على شفتها. وانضج لسمانا ان جدتها
وجدت صعوبة في استهلال الحديث معها. واخيراً انضمت الفتاة ان جدتها
ليست غولاً، بل سيدة لطيفة. ولكن، اين أمها؟ وهنا خاطبتها اللايدي
دافنيورت منبهة:

«احسني سياتر حديثي باطلاعك على اخبار ابنتي».

«تقصدين أمي؟»

تهبت اللايدي دافنيورت:

«اجلي، انتك بريارا، ابنا ابنتي الوحيدة. وقد ولدت بعد ان كنا انا
وهارولد على اقتناع تام اننا لن نرزق اطفالاً. وان ذكرت هذه الحقيقة
امامك، فلأوضح لك سبب قتاد بريارا وسوء اخلاقها. ولعلنا انا
وهارولد نتحمل المسؤولية. فقد ثبت بريارا وكبرت وهي تتصور ان لها
الحق في امتلاك كل شيء تراه. ولما انقضت المشك، ادعت ان قتلته ايضاً
وهي لم تتجاوز الثامنة عشرة عندئذ».

واقترنا بعد شهرين من لقائهما وذلك بعد الحرب مباشرة كما تعلمين، اذ
عملت بريارا، وهي تجمة صاعدة آنذاك، في فرقة مسرحية لندنية ترقه عن
الجنود. وقد شاركت في جولات الفرقة الترفيهية. اما والدك، فكان
ملاحقاً بالبحرية، وقد بدأ وسياً في برته الرسمية. واذكر ان كثيراً من
الشبان تزوجوا في ذلك الوقت. ولم يخامر بريارا الشك في حبها لجون. وعاد
والدك الى البحرية طبعاً، فلم يتسن لها ان يلتقا كثيراً لمدة طويلة. وكنت
قد بلغت السنة من العمر عندئذ».

ثم صممت اللايدي دافنيورت لتحرك خاتمة في اصبعها قشرة:

«وذلك المسقط بريارا عندما اكتشفت انها حامل. فاضطرت الى
التخلي عن عملها، والاتحاق بعملها في ولتشاير. وبعد ان وضعت، لم
نعد نطبق الانتظار».

وتجهنم عينا السيدة المعجزة:

«أسفة يا عزيزتي، ان اقول لك انك شككت عاتقاً».

وأحسست سمانتا أن الدعوى قنلاً عينيها، إلا أنها كبتتها. وقالت وقد كتبت معرفة المريد، كما رأيتها الخوف على التصير المحتوم في أن واحد: «ارجوك، تابعي حديثك».

«عندما سرّح جون، وجد أنك تقيمين معي في مسكن دافن حيث توثق مرتبة الاعتماد بك ورعاية شؤوك بسبب وجود بربرا في لندن. ولم يرعيني ذلك في شيء لأنك كنت طفلة مرحة أرى العالم كله من خلالها. لكن جون للأسف لم يوافقني على رأيي، بل اعتبر أن تربيتك من مهمات بربرا، وهذا اعتبار ينهني خصوصاً إذا علمنا أن جون عمل قبل الحرب استاذاً في إحدى مدارس لندن حيث أطلع على الآثار السلبية لتربية الأولاد الذين انفصل ذويهم عن بعضهم. وعلى أي حال، قانه أهلك عني واستأجر لنفسه شقة في لندن. وبدأ لبعض الوقت أن يرباها حافظت على علاقتها بجون وهو الشاب النقي الطلعة البارز والقوي. واكتشفت بربرا طوال تلك الفترة بآداء أدوار صغيرة، فيما اعتلت بك وبعون بقية الوقت. وثقت أن كل شيء يسير على ما يرام بعد عودة جون. وظهر علاقتهم السعادة على بربرا».

ثم تهمت:

«أسفة يا عزيزي، لكن، يجب أن أبحررك. لقد اتضح بلون أن زوجته أقامت علاقة مريبة مع أحد منتجي الأفلام السينمائية رغم أنه كان متزوجاً، وذلك لأنه وعدها بأدوار مثقفة في أفلامه».

صدمت سمانتا وغلظتها الخوف. هل هذه أمها التي أسرعت إلى لقائهما؟ وورفض جون بعد ذلك أن يتحدث إلى بربرا. ومضى ليبيع كل ما وصلت إليه يده، وصحب كل مذكراته من المصروف. ثم انخفي وقد اصططحك معه وانت لا زلت في الواجهة من العمر. واتصل بنا عاصيه بعد فترة من ميلانو ليخبرنا أنه يعيش في إيطاليا، وأنه لا يرغب في أن نحصل على عنوانه ولم يكن باستطاعتي أن أفعل إلا القليل دون مساعدة بربرا التي لا يظهر عليها الاعتماد. وبدأت والدتك تحصل على أدوار أفضل وأفضل، ومع مرور السنوات أصبحت نجمة معروفة. وهي الآن تحتار دورها لأنها محلة بارعة بفرض النظر عن كل فتورها وعيوبها».

وصاحت سمانتا:

«لا يمكن أن أصلي ذلك. كيف يمكن أن تفعل كل هذه الأمور؟»
«إن بربرا امرأة فردية النزعة مستقلة بتفكيرها بخوض صممت على بلوغ أقصى مراتب النجاح. وقد تم لها ما أرادت. وإلى ذلك، قانها الحب رجال إلى أقصى الحدود. وهناك كثير من الرجال الذين يحيطون بها. وهي تشبه الأطفال في أمور كثيرة. كما أنها لا تريد أن تكبر، وتصر على البقاء طفلة إلى الأبد».

«ولكن، لا شك أنها متقدمة في السن بعض الشيء. قانا في الثانية والعشرين من عمري».

«اجل. فهي مثلي الأربعين عندما تحتفل بعيد ميلادها القادم. لكنني اتحدى أي شخص بأن يعرف عمرها الصحيح».

فهمت سمانتا مستغربة:

«ألا تزالين مقيمة على حبيها؟»

«اجل إلى أحيائها. فهي ستظل ابنتي الوحيدة على الدوام. وقد توفي زوجي عندما كانت في السابعة من عمرها. والحقيقة أني ألوم نفسي كلياً فكرت بالأخطاء التي ارتكبتها في حياتها، وذلك لأنني تساهلت معها كثيراً، ولم أحرص عليها».

حركت سمانتا رأسها:

«و... وهل تم طلاقها؟»

«اجل. لقد واجهتني حوت المحكمة بدلائل كثيرة أحرميني رشتي دفاعي. واتهم كل شيء بأنها قبل أن تصبح معروفة. ولا يدري أحد اليوم أي شيء عن قصتها هذه».

وسكتت سمانتا لحظة. ثم قالت:

«الأرجح أني لم أسمع بها أبداً. فما هو اسمها المنسحق؟ بربرا دافنبروت أم بربرا كنغزلي؟»

«لا هذا ولا ذلك. اسمها الكامل هو بربرا هاريت دافنبروت. أما اسمها المنسحق أو التي فهو بربرا هاريت».

«وما زلت لا أعرف شيئاً عنها».

«لا بأس عليك. فأنت غشت في عزلة اليس كذلك؟ وأراهن أن جون

لم يكن ليخاطب ويسمع لك نرق بها كثيراً.
 وغلبت الرعدة سمناً بالرغم منها، إذ ملأتها سيرة أمها الشمراراً
 ورفها. وادركت أنه من الطبيعي أن تستغيث جدتها روية الأشياء بنظارة
 بربارا. أما هي، فتعتبر تصرف والدتها مشيناً ولا أخلاقياً. ويبدو أن بربارا
 لا تعير اهتماماً لأحد. ثم سألت:
 «وهكذا، فإنها لم تزوج مرة ثانية؟»
 هزت اللادي دافنيورت رأسها:
 «كلا. فهي لم تشعر برغبة الارتباط برجل واحد كلياً. إلا أني أظنها
 بدأت تغير رأيها قليلاً الآن. فهناك الآن رجل... حسناً! هذا خبر يحمل
 الانتظار»
 واكفهر وجه اللادي دافنيورت. ثم استقامت في جلستها لتسمعك
 بأحدى يدي سمناً قائلة:
 «هناك أمر آخر يجب أن تعرفه يا عزيزي»
 اعترت الخشية سمناً. فماذا بقي حتى تسمع؟ وما لك يخطر:
 «ماذا هناك؟»
 «أن بربارا عملة شهيرة جداً اليوم كما أخبرتك»
 «أجل»
 «ولذا يجب أن تظهر أمام جمهورها كمسيلة شابة وامرأة جذابة»
 علا العروس قسما سمناً لأنها لم تفهم قصد جدتها من هذا
 الحديث:
 «تأبهي حديثك. هل رفضت الاعتراف بأنني أيتها؟»
 ابتسمت السيدة العجوز متعبة وتهدت:
 «أن جنورك واضطرابك اللماحين يجرانني. وإلى لؤكد لك أن بربارا
 تريد الاعتراف بك. أيتها»
 بلغت سمناً ريقها واستطردت:
 «فأذن، ما المشكلة؟»
 «أنك في الحادية والعشرين من عمرك يا عزيزي. وهذه هي المشكلة.
 سيكتشف الجميع، أن هي أظلمهم على عمرك الخفي، بأنها أكبر بكثير
 مما أظنت»

ويا الهي!..
 «حاولي أن تفهمي يا سمناً العجوزة. لم تصور أحد أن عمرها يزيد
 على الثانية أو الثالثة والثلاثين»
 «أذن، ما هو اقتراحك. أو بالأحرى، اقتراح بربارا؟»
 «أنها ترجو أن توافق على الادعاء بأنك ما زلت في سن المراهقة»
 «أنا مراهقة»
 «أجل. فما رأيك لو قلنا أنك في السادسة أو السابعة عشرة من
 عمرك؟»
 اكفهرت ملامح سمناً، وظهر الغضب على سماتها:
 «لن يحصل هذا أبداً. كيف يمكنك أن تطلي مني هذا بعد أن اسندت
 لي طوال هذه السنين؟ كلا. انني أرفض»
 أطلقت اللادي دافنيورت تنبذة متعبة، ثم قالت بوهن:
 «أخبرتها بأنك لن تقبل»
 «حسناً! ولماذا أقل؟ فإننا لست مدينة لما بشيء! بلني شيء على
 الإطلاق»
 «أشاطرك الرأي يا عزيزي. إلا أنها وضعت هذه الشروط حتى تسمع
 في بك هنا. وانت لم سمعي كل شيء بعد. فانت متفهمين معي في داخلك،
 ولن تزوري المنية إلا نادراً. ولا حاجة بك أن تكون مرافقة إلا في هذه
 المناسبات. وبماكانك أن تعيش على حقيقتك في داخلك. فالفرية هائلة،
 ولا شيء يدفع أجداً لاكتشاف هويتك الحقيقية إذ لم تكن هذه هويتك»
 وأمسكت يد سمناً ثانية:
 «هل أطلب منك الكثير لنفسي؟ أنا التي اقترحت حضورك لأنني طالما
 فنتيت أن أعرفك. فإننا سيدة عجوز أعيش بمفردي. وأنه من دواعي غيظي
 أن ترافقني يا سمناً. وهل لك في إيطاليا عزيز يصعب عليك مقارفته؟»
 أجفأت سمناً من كلماتها، إذ كان يجمل إليها أنها لم تترك شيئاً مهماً
 بدعوها إلى إيطاليا، ولم توقع حدوث مثل هذا الأمر. كانت على ثقة أن
 أهلها سيحبونها، وكان همها الوحيد خوفها من ألا يحبهم. والآن، بعد أن
 عرفت الطرق السهلة والمثيرة التي عاملتها بها أمها طوال هذه السنين،
 أفهتها هذا العرض المفاجيء»

تأملت سمائنا جدتها بخوض. ورأت فيها نبذة محبة ورفيقة أياً تكن
تخطأها وخطاياها. وانتمت سمائنا أن يحبها لجدتها منيعاً ظم، فلدى
كل منها أشياء كثيرة تفوقنا للأخرى. كانت تشعر بصلة حميمة تربطها،
ولدت ليرعة لو لم تكن لها لم تقف الأمور. لا يمكن أن نقيم مع جدتها
سعيدة ومن دون مشاكل. وهذا طرحت عليها سؤالاً: «وماذا لو أصرت
بربارا على نفسها؟ لماذا لا يمكنني أن أعيش معك في دافن ونسي مشاريع
بربارا وحفظها؟»

«لقد أوصى زوجي هارولد بمسكن دافن لبربارا. ولم يترك لي إلا ما
أعيش به على نحو مريح. وأنت تلك معظم التركة. وتظنوها أن تعطي
أحياناً في شقاء عقيم إن أبا عشت وغيابها. وبربارا كي اسلفت وأنت امرأة
إثنية لودية التركة. وإذا أغضبت، فإنها ترتكب حماقات لا يتصورها
العقل. ولا أجدني رغبة أن الزوها وأعادها وأنا في هذه السن المتقدمة.
خابت آمال سمائنا، واكتفتها رغبة بالدفاع عن جدتها:

«وما هذا الذي تقولينه؟ أنه مروع».

«حسنًا. لقد شرحت لك الوضع على حقيقته».

«ولكن، إذا لم ترد الاعتراف بنوني وأنا في الواحدة والعشرين، فلماذا
تريد أن تعترف بأنني ابنتها في أي حال؟ من المؤكد أنه يوسعني أن أكون
قريبة أو صديقة أو أي شيء من هذا القبيل...»

هزمت اللابدي دافنبورت كفيها:

«هذه مشكلة بربارا، لا مشكلتي. لكنني أعرف شيئاً واحداً، وهو أن
بربارا تريدك مراعاة. فهل توافقين أم لا؟»

انصبت سمائنا واقفة وقد أقرتها الوضع. فالمشكلة في الحقيقة بسيطة
للقاية، أما أن ترفض مشاريع بربارا، وأما أن تحزم امتعتها، إذا جاز
التصريح، وترجع إلى حيث أنت.

واحدت أنه لو كانت تعرفها بالكلية أوسع، لما اختارت إلا الحل
الثاني. إلا أن إيطاليا كانت أكثر ترحيباً بها في حالتها الحاضرة.

وبقي هناك مشكلة عملها. فهي مقتنعة أكثر من ذي قبل أن زواجها
بينهم ليس هو الحل المنشود. صحيح أنها أعجبت بمزاجه لكن ربما يعود
ذلك إلى نشأتها مع رالي اتصالها المباشر.

ولا يمكن أن تنسى عقدة جدتها. إذ إنها حاولت التخلص من الشعور
بأن جدتها تحتاج إليها، فلم تنجح. اللابدي دافنبورت امرأة طاعنة في
السن. ليس من الأفضل لها أن توافق على مشاريع بربارا؟ وعندما لا يعود
بالإمكان إيذاء اللابدي دافنبورت تنحرف في وجهها وتعاملها بما تستحق،
هل يحق لها أن تترك فرستها الوحيدة الآن مع أنها عاملتها بقسوة
بالغة في الماضي؟ إنها بحاجة إليها الآن، ولو أنها عبرنا عن حاجتها تلك
بصورة غادة. وهي لا تذكر أن أهدأ أعرب عن حاجتها إليها منذ توفي
والدها.

واستدارت نحو جدتها التي جلست تراقبها وهي تأمل خيراً. ثم
عاطبتها السيدة العجوز بهدوء:

«وأنت لا زالت شابة. لا يمكنك تكريري بفسحة الشهر، أو بضع سنوات
على الأكثر، من أجلي؟»

وأخيراً علقت سمائنا:

«أشعرني وسيلة للمناجاة والدعاية. ولكن، إذا وافقت، انظري أنه
بإمكانك الظهور بظهور ابنة ست عشرة سنة؟»

أجابتها اللابدي دافنبورت مبتسمة:

«بكل سهولة. فقلت تبدين الآن أكبر من ذلك. ولكن حياتك يا سمائنا

ضئت من الاضطرابات، وعجزت بالهدوء. ولا تلوح على وجهك أي من
دلائل الأرهاق والأجهد القاهرة في وجه الشباب اليوم. والمراهقين في
عصرنا ليسوا سوى شلة من الأولاد المزعجين والمضطربين. ولعلك
ستستمتعين بمراهقتك الثانية. وأعدك ألا تكون حياتك كثة ورتيبة».

وتساءلت سمائنا ما عسى أن يقول عنها والدها لو عرف. هل أية حال،
أنه المسؤول بالدرجة الأولى عن عودتها إلى أمها. وتأكدت أنه لم يكن ليقبل
بأي من هذه المشاريع لأنه كان يفضي المدح ويكرمه. غير أن عظمها
شكك في هذا الرأي. ثم يلامس والدها نفسه ضربة من المدح عندما
جعلها توفرن أن أمها متوقفة وهي لا تزال تبض بالحيلة والحموية؟ وفي نهاية
الطاف، أحلقت:

«سأوالتي الآن على الأقل. على أي لن التزم بأي تصرف إلا بعد أن
يجرب هذا القناع».

وكم أنا سعيدة بك وعنتي لعطفك يا عزيزي.
ويرق الدمع في عيني السيدة الحرة، وسر سمائها أنها وفرت السماعة
لشخص واحد على الأقل. وقالت اللايدي دافنبورت:
وأما الآن، فليمكننا ان نتناول التفاصيل.
بان الارتباك على سمائها:
أي تفاصيل؟

ويؤسفني ابلاغك ان برابارا عقدت زواجاً مريباً منذ سبع عشرة سنة اي
حين كانت في التاسعة عشرة من عمرها. وكنت انت حبيبة زوجها، على
ان وجودك بقي سرا حتى تكبري بعيداً عن الاصوال والتقصوض المحيطة
ببناته المشاهير.

وعبرت سماء: وهي تحلق في جديتها بالشداء:
حسباً. كيف استطاعت ان تقول ذلك وهي لا تعرف اني سأوافق؟
لم تحب اللايدي دافنبورت عدم ارتياحها:
ولا اكتمك القول يا عزيزي سمائها أنها كانت تعمل على قبولك
لمشاريعها. فلا احد يرفض لها طلباً على الإطلاق.
أما سماء سمائها رأسها ينة وسرة وقالت:
ويا الهي.. قانا الآن لست سوى لعبة تعمل بها برابارا. هذه ما تشاء.
دارجوك الا تقولي ذلك يا سمائها. دعينا تكمل. وأؤكد لك انك لن
تدعي على شي.

لم تقنع سمائها. غير انها لم تستطع التفوه بكلمة اعتراض واحدة
وشمرت بالشمزاز شديد من المخطط بأكمله. ولا بد ان يكون هناك
سبب. فبرابارا، مما سمعته عنها حتى الآن، لا تفعل شيئاً دون سبب وجيه.
وهذا سألته جديتها:

حق نذهب الى دافن؟
اجابتها اللايدي دافنبورت وهي تتألمها:
ليس قبل أسبوع أو نحوه على ما أظن. فبرابارا تريد ان تقدمك الى
اصفائها. ولذلك ربيت بعض الحفلات ومأدب العشاء. وعندما تدعب
الى دافن لا يعود ثمة سرير لقلبك واضطرارك لانك لن تعودى الى لندن
قبل مدة طويلة.

واقترنت!

عصفت سمائها شفتيها: ماأدب عشاء. حفلات! وتعود ابنة بست عشرة
سنة مرة أخرى!

٣- يوم لا ينسى

استيقظت سمائها في صباح اليوم التالي لتجد نفسها في السرير الكبير بين
ملابس ناعمة. وطراف جزيري. وظلت تفكر لحظة أين هي، الى ان
استرجعت ذكرياتها. . . كانت في ككلترا. وفي لندن بالتحديد حيث تقيم
مع جدتها، وهي تتوقع ان تلقي بلمها اليوم للمرة الاولى. وبعد سبع
عشرة سنة.

وهنا انقلت على وجهها لتدفن رأسها في الوسادة. فحسها لم يستمع
اللعبة اليوم كما استماعها بالأمس، حين قضت السهرة بكاملها مع جدتها
التي ابلفنها ان برابارا مربية بموجد مهم، ولذلك لن تتمكن من الحضور
والقاء التحية على ابنتها الا غدا، اي اليوم. واعتبرت سمائها المهتاجة
والقصورية هذا القول كافياً لاطهار امها على حقيقتها. . . لم تعرف والدتها
اي اهتمام على الإطلاق؟

وأعلنت السيدة دافنبورت انها سذهبان اليوم لايبيع الملابس. فمن
الواجب ان تبرز سمائها في ملابس لائقة. كما ينبغي ان يعمل شعرها
ويحفف. وزرعت سمائها فكرة زيارة دار فخمه لتزين الشعر، وهي التي لم
يسبق ان رأته محفولة مثل هذا المكان. لمألت عن السبب الذي يمنعها
من تصفيف شعرها نفسها كما كانت تفعل دائماً. وما كان من اللايدي
دافنبورت الا ان اهتمت:

ويجب ان تدركي الآن يا عزيزتي انك شابة غنية نسبياً. لا تصففين
شعرك بنفسك وإنما تزورين مزين الشعر بانتظام لن تكوني مشعة الشعر
ومعصنة الملابس يوماً من الأيام.

وظلت سمانتا على أصرارها بأن لا تترك هذه المصاريف، غير أنها امتنعت عن الإذلاء بأي تعليق آخر.
وعلافت فرأشها وهي تنظر إلى ساعتها التي أشارت إلى الثامنة والنصف. ولو أنها ظلت في بلدتها، لكانت قد نهضت الآن وبدأت بتناول فطورها. «بلدتها! علت ثغرها ابتسامة وهي تتساءل: هل يمكن أن تألف أعيان لندن بلدتها؟

ولما فرغت الحديقة الباب، ودخلت بصينية الإفطار، كانت سمانتا قد فرغت ثغرها من الاستحمام وارتداء فلابستها. فصاحت الخادمة:
«آه! أرى أنك نهضت يا أنسي!»،

اضطربت سمانتا:

«أجل. وما الغريب في الأمر؟».

ابتسمت الخادمة:

«لا شيء». فبإارك الله، خضعت متعبة بعد رحلتك الطويلة. هاريس!»،

«التي بنحير. هذا فطور كبير».

«كلا. إنه يقتصر على بعض اللحم والبيض المقلب والحيز المحمص».

ودت سمانتا على ابتسامة الخادمة. بابتسامة مشابهة:

«والحقيقة التي اعتقدت على تناول بعض الحيز المدور والزبدة. لقد

آ... أخبروني كثيراً عن هذه الوجبة الانكليزية».

وبلعت ريقها لأنها كانت تقول إن أياها أخبرها. ولما لم تلاحظ الخادمة

أي تغير في ملامح سمانتا، أجابتها ببساطة:

«حسناً. قل ما استطعت. لقد طلبت مني اللابدي دافنبورت أن

أخبرك بأنها مستهض ونستعد لبدء رحلتك الشرائية عند الساعة العاشرة».

«أشكرك».

وخرجت اللابدي دافنبورت من غرفتها عند الساعة العاشرة تماماً وقد

بانت ملامح الاناقة والفخامة على قفها الصغير، فحسدت سمانتا على

ثقلها بنفسها وهدولها. ولما سارت بجانبها، ألقت نفسها فارة الطول

ضخمة الجثة تمررها بالباقة. فطلبت إليها اللابدي دافنبورت وقد تأماتها

بذقة: «لا تهرجلي في مشيتك يا عزيزتي. صحيح أنك طويكة القامة، لكن

يجب أن تفخري بهذه الميزة».

أجابتها سمانتا بطاعة وهي تبتسم:

«أجل يا جدي. لا شك أنك قاسية عندما تشارين، اليس كذلك؟».

فنهضت اللابدي دافنبورت:

«هذا يعتمد على مرافقي. والآن، هل يمكننا أن نطلق؟ فإولز

ينظرنا».

وقفت سيارة الرولز تنتظرهما في باحة الفندق. وساعدت سمانتا جديتها

بالصعود إليها، ثم جلست بفرجا. وأغلق بارلز الباب، ثم دخل حول

السيارة قبل أن يدخل هو أيضاً. ولما انطلقت السيارة، شمرت سمانتا

بعض الحداثة ونظرت بفرح وترقب من نافذة السيارة وهي لا تطيق أن

يضيع عليها مشهد واحد».

واجتازوا قسماً من لندن. عندئذ أمرت اللابدي دافنبورت بارلز بأن

يتوقف حول سيرك بيكاديلي لتشمكن سمانتا من مشاهدة مثال العاطفة.

وقالت لحفيدها:

«عليك أن تزوري هذه الأماكن وتشاهدها بدقة ذات يوم. هل تعرفين

الكثير عن لندن؟».

ودت سمانتا:

«لدي بعض المعلومات عن برج لندن وقصر بكنينهام. والحقيقة أن

والتي أخبرني عنها الكثير، وكان يحب المتاحف ومعارض الفنون. وقد

اصطحبني مرة إلى روما حيث زينا الكولوسيوم في القاتكان».

فابتسمت لها جديتها:

«وهل أصبحت هذه المكان، الذي يعتبر هوناً للفنون في العالم؟».

«أجل. لكني أودع باكتشاف لندن على حقيقتها. وهناك أمور كثيرة

أودع القيام بها».

«حسناً. لديك التسع من الوقت».

«أعرف ذلك. وقد أفانعتك ذلك. ولكم ثقت أن أرى هذه البلاد. لكن

الظروف كانت تصور في هذه الأمور بصورة مختلفة».

واكتشفت سمانتا أهمية امتلاك المال عندما دخلت متجر أرنولد اللابدي

دافنبورت في شارع يونك. فخلد بدا للتعبير من الخارج عاصياً إلى حد بعيد».

الا ان عملاً آخر رجباً انكشف لنا في الداخل.

ومع انه يحمل اسماً تجارياً بسيطاً وابلان، الا انه من اعل وافهم متاجر الالبسة في لندن. وما ان دخلت سمانتا عتبة بابه، حتى غرقت قديماً في سحابة ذات لون بنفسجي فاه، وسرها اللون النيلي القادي، في قطع الاثاث والمفصلات، واغلتها ابلان بنفسها الى جو فصح، وهي سيدة فرنسية متقدمة في السن كاذ التهاب المقاصل يشال يديها.

وطلب من سمانتا ان تخلع ملابسها الخارجية. ثم قيس طولها، ووزنت. ولشد ما اخرجت سمانتا واتزعجت لانها لم تعود تخلع ملابسها امام احد عن الاطلاق، وغنت لو تنتهي العملية بسرعة. واجبرت ابلان تاتسق جسم القيلة:

«الآن لحقيقتك يا لايدي دافنبورت حبساً رائعاً، فهي مدينة القامة ونحيلة، غير انها مستديرة الجسم لا نشأ عظامها بشكل زوايا».

فبرت اللايدي دافنبورت: «واجبت مبسمة»
وهذا بالضبط ما خطر لي. وافق ان كثيراً من اللاليس تناسبها، ليس كذلك؟»

وطبعاً. ومجموعة ازمنة الجذوبة تناسبها كثيراً لانها معادة للشابات. الم نعرفي انها تبلغ السادسة عشرة من عمرها؟»

«بل، بالضبط».

لم يبد الانزعاج على اللايدي دافنبورت، في حين علت حمرة شديدة وجه سمانتا.

وقضت السيدتان في المتجر اكثر من ساعتين. وما خرجتا احسنت سمانتا انها لن تستعيد ظهرها ثانية بعد ان استبدلت ملابسها القطنية الداخلية بالخرق من النايلون الضافي.

وارتدت عند خروجها ردة كورتين مرتقاة اللون تألفت من ثوبه دقيقة الشياش وبلوزة قصيرة الباقة تركت حلقها عارياً. اما ملابسها، فتركت في البهو وهي لا تصلح الا للرمي في صنابير القمامة على ما يبدو.

وكان الفرق في مظهرها مذهلاً الى حد ادعشها عندما تأملت نفسها. وبعد ان جلست سمانتا في مؤخر السيارة بجانب جدتها، التي نالت مساعدة كبيرة لتمكين من الصعود، قالت اللايدي دافنبورت:

«واماً الآن، فملينا الاهتمام بشعرك».

فاستنشرت سمانتا وهي تفرز يدها على شعرها الذي حاكى الخريف نعمة:

«وماذا تنوين ان تفعل بشعري؟»

ابتسمت اللايدي دافنبورت:

«تفكير بسيط يا عزيزتي. فلا تقصري لان المرافقات يطلن شعورهن في هذه الايام. وشعرك عشن عند اطرافه. لكن راقابيل سيحببه اكثر عصرية بحيث يزركش اطرافه ويعطيه لوناً غنيا يلفت الانتباه الى هاتين العينين الجميلتين».

علت الجمرة وجه سمانتا من جديده لانها لم تسمع مثل هذه المجاملات من قبل.

لم يكن على راقابيل لتزيين الشعر بعيداً عن متجر الالبسة. وقد تركت اللايدي دافنبورت سمانتا هناك بعد ان دخلت بنفسها وطلبت ان يغني راقابيل شخصياً يحفيدها، مؤكدة انه يعرف ما تحتاجه بالضبط. وفيما خضمت سمانتا العملية غسل شعرها وتغفيفه وتصفيقه نلقت اطرافها طليقة من طلاء الاظافر، كما دهن جلدتها بكرعات مختلفة لتحصنه. واخيراً تولت مساعدة راقابيل الماهرة تزيينها. وما عادت اللايدي دافنبورت لاصطحاب حفيدها، صفقت فرحاً وهي تضحك:

«وبدع يا عزيزتي. انك تبدين قاية في الحين».

لم تقنع سمانتا بقول جدتها، بل اعتبرت نفسها شبه بحفل تجارب. الا انها اضطرت للتجاوب مع جدتها لان الاخيرة كانت تستبد سحابة من عملها هذا.

عادت السيدتان الى الفندق لتناول الغداء، ولفقت سمانتا انظار روك الملحم، فالتفت اللايدي دافنبورت مبسمة بشيء من التعب:

«ولعله من الخير ان يعتبرك الناس ابنة ست عشرة سنة. ولا اخاك يربوا ثوبت ان تكوني على هذا القدر من الجمال. اما من حيث مظهرك، فانتك تشبهين يربوا. الا انك اطول منها قامه. وعيناك تشبهان عيني جون».

ركزت سمانتا نظرها على سمك السلمون المشوي الموضوع في طبقها وسألت جدتها:

«مضى القوي أمي؟»

«أملت اللابدي دافنبورت ساعتها».

«اذكر ان بريارا اكلت بانها منفصل بعد ظهر اليوم. وانها نادراً ما تفيض قبل وقت الغداء عندما لا تكون مرتبطة بجواعي عمل. وهي لا تعمل الآن، بل تستريح بين مسرحيتين انتهت اولاهما منذ امد قريب بعد ان عرضت ستة اشهر على مسرح برو دواي. وستسهر اجازتها شهراً كاملاً قبل ان تشارك في قارئين مسرحية جديدة يخترع ان يبدأ عرضها بعد ستة أسابيع في الطرف الغربي من المدينة».

«أطرقت سمائنا وقالت»:

«فهمت. ولكن، متى توقع ان تبدأ بعرضي امام الجمهور؟»

«ارجوك يا عزيزتي الا تنظري في الامر هكذا. اما عن تعازلك على اصدقاءك اليك، فلمست امري شيئاً. وربما تم مساء الليلة، رغم اني اشك في ذلك لعلمي بانها تقضي حفلة كوكتيل ليلة غد قبل العشاء. ولعلك حينئذ تبدأين بإيقاظ جزء من ذلك».

«ولماذا تقيمين وحيدك وليس في شقتها عندما تحضرين الى لندن؟»

«لحقيقة يا عزيزتي ان غبطة عيش بريارا لا يأسيني. صحيح انها تفيض من فراشها صباحاً، الا انها تتأخر في الايواء اليه ليلاً، ونادراً ما تدخل سريراً قبل صباح اليوم».

«وتساءلت سمائنا، وهي المعتادة على النوم والتهوؤ بالقرآن، اذا كان منظوراً منها مجازة مواعد أمها».

«وبعد فراغها من الغداء، صنعتنا ان جناح اللابدي دافنبورت حيث كانت خادمتها ايجلي قد فقت كل الملابس التي وصلت من متجر ايلان. لقد عملت ايجلي مع اللابدي دافنبورت منذ ما يزيد على عشرين عاماً. وحاولت سمائنا ان تفهم ردة فعل الخادمة على هذا الخداع المتعبد. فالخادمة لا بد تعرف سمائنا منذ كانت طفلة، وتعلم بالتالي صهرها الحقيقي. الا ان ايجلي احتفظت برأيها لنفسها».

«ذهبت اللابدي دافنبورت الى غرفتها لتستريح قراءة ساعة، بينما تركت سمائنا بفردها. فاشعلت سيكارة، وجلست على الارض تقرأ بعض المجلات التي اعطتها اياها ايجلي. واكتشفت الاضطراب لانها لم تعرف ان

كانت ترغب في حضور أمها ام لا. فقد اشمازت منها قليلاً. ولم تتأخر بزيادة سحقها عليها عند لقائهما. ولذلك آملت ان تكون بريارا قد لانت مع نفسها في السن. الا ان ما سمعته من جدتها يؤكد ان استيها لم تكن لتتحقق. وفتح الباب وراء سمائنا، فاستندت وهي تتوقع ان تشاهد ايجلي. ولكنها عوض ذلك شحت سيلة حسناء ذات شعر اشقر قصير وعينين زرقاوين ترتدي بزة من المخمل القرمزي اللون تلتصق بجسمها. وبذات غلالة في الغرابة وهي تنكس على الباب.

«اذكرت سمائنا ان هذه أمها لا محالة. فالتصبت واقفة بصورة آلية. وبعد ان عرفت سمائنا بريارا معرفة المفضل، فهمت ان والدتها رتبته دخولها عليها بهذه الطريقة. كانت تعرف كم تبدو جميلة وهي تلف بجانب الباب. لذلك عرفت ان تراها ابنتها في هذه الصورة للمرة الاولى. كان يطوق عنقها عقد برقي، فيها تلالات حبات المس في القوط الممتلئ من انبيها. وتكلمت متمهلة:

«واذن، فانت سمائنا؟»

«ارتجعت سمائنا. فالمرء قد تم. وقد انخرسها اللقاء فحككت من التطق باربعاش:

«أجل، وانت... هي انت أمي؟»

«وان ذلك واضح».

«وامتداهت قائمة بريارا التي عبرت الغرفة بعدم الاكثار. وقالت:

«من المؤكد ان أمي صنعت بك العجائب. فانت تبدين غاية... في الجاذبية».

«واحسنت سمائنا بالجياة ثوب في جسمها من جديد اذ عاودها الانتباه الذي عرفته من قبل، بعد سماعها لملاحظة أمها الساحرة».

«ووقفت بريارا على بعد خطوات منها قائلة:

«ولا شك انك شعرتني اذا لم أقبلك، اليس كذلك؟ فانا لست محتاجة على تقبيل النساء. كما اننا لم تعامل طويلاً مع بعضنا بعينه تشأ بيننا صداقة ومودة. ولا يمكن ان يكون شعورنا تجاه بعضنا مثل شعور أي ام وابنة اخريين تجاه بعضنا. واني واثقة ان جون مسؤول عن كل الافكار التي تكونت لديك عني».

فعبثت سمائها بيروقة:

ولقد اغريزي تلك مينة.

ايسمت بربارا اذ لم يزعجها قول ابتها البنة:

وهل قال ذلك حقاً؟ من المؤكد انه لم يحسب حساباً للامر، اليس كذلك؟ ألم يحس حدوث الشيء نفسه؟

فاجابها سمائها بخدة:

ولم يكن هناك مثل هذا الخوف ابداً.

ايسمت بربارا ثانية ابتسامة عريضة:

وصحيح! وانك لسيدة مجربة تستطيع اصدار الاحكام بسهولة، اليس كذلك؟

ولا انهم فضلك. لكني اعتقد انك تصرفت بطريقة مثينة.

تلفظت سمائها بهذه الكلمات قبل ان تستطيع منع نفسها.

وهل تعتقدون ذلك فعلاً، ألم يفتك أي رجل تصورين انه بعيد عن متناول يدك؟

وكلاهما.

فكالت بربارا بشرة طفى عليها اللام:

وطبعاً. فمن الصعب ان تجدي رجلاً لاثقاً في قرية تقع آخر العالم.

رذت سمائها غاضبة:

ولقد عشنا في قرية جميلة. ولنا سعداء مع بعضنا. ولم اشعر بحاجة الى أي رجل آخر.

وعظيم.

وادارت بربارا ظهرها، فتابعت سمائها الى ميزة في أمها كانت مألوفة لديها. وبدا من الغريب الا تكون قد تقابلت من قبل. ومع ذلك... فان فيها ميزة... وهنا تكلمت بربارا:

والظن ان والذي قد شرحت لك الوضع. فهل توافقين؟

اجابها سمائها:

وذلك واضح. والا لما كنت هنا. اليس كذلك؟ لم يكن من المفروض

ان اعود من حيث آيت ان رفضت طلبك؟

فاطلقت بربارا ضحكة عذبة:

ولا تكرهني الى هذا الحد يا عزيزي. فانا أمك. ولا أريد أن تصور أحد اننا لا نحب بعضنا.

تتأملت سمائها سكاراً من العلية الموضوعة على الطاولة واشعلتها بشروء. مائلتها بربارا وهي تتأملها:

هل تدخين كثير؟

ولماذا؟

حسناً يا عزيزي. لن يكون بإمكانك الاكثار من التدخين في العلى.

تجهست سماتها سمائها واجابت بقطافة:

والى لا ادخن كثيراً على أية حال. واكثر جدياً بالانقطاع عن التدخين.

ولا ينبغي لي التدخل في غط حياتك الآن يا عزيزي. ولكن فكري بالمال

الذي المني عليك حتى الآن. من الواضح ان والدتي اصطحتك لشراء بعض الملابس، اليس كذلك؟ فهذه البزة تبدو من صنع ايلان.

اطلقت سمائها شفتيها بعمود. فلا ريب ان امها مصيبة. واللايدي

دافنيورت تستحق بعض التقدير. لولاها لما وافقت سمائها على هذه

المشروع من البداية.

قالت وهي تحديق في أمها غاضبة:

وهو كذلك.

وايسمت بربارا:

وهنت هذا. والآن، استرهي يا عزيزي. فانا لم ارتكب جريمة كما

تتوقعين. والارجح ان جون عرف في وجدته سعادة اعظم مما لو كان معي.

فحين لم تنفق تماماً كما لا يترح الزيت بللأء.

وتأملت سمائها في قسوة بربارا التي تعودت الصراحة المطلقة. واذا

كانت بربارا تقنع بقسوتها، فالحا تخاف من خداع النفس ايضاً. ولعلها

عملت ذلك طوال الوقت. ام لعلها فقدت ضميرها؟ يد ذلك اقرب الى

الواقع وجلست بربارا على كرسي واطيء. ثم خففت ففاضيا قائلة:

داريد ان تلاحظي بربارا. وانا متأكدة انك ستجدين هذا ملائماً للذوقك.

فمن الصعوبة بمكان ان تلاحظي أي بعد كل هذا الذي حدث، اليس

كذلك؟

رَدْتُ سَمَانًا عَلَيْهِ يَتِيءُ مِنْ الْإِخْطَارِ:
«الْحَقِيقَةُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ صَحِيحٌ»
وَحَسْبًا... وَلَكِنْ، مَاذَا كُنْتَ تَتَذَكَّرُ حِينَئِذٍ؟
«حِينَئِذٍ».

اغترت نغم برابرا عن إيتسامة:
«يَا لَلشَّعْثَةِ... لَا يَدُ أَنْتَ مِنَ الْأَوْلَادِ الثَّقِيلِينَ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ وَاللَّهِمْ
بِأَسْمَائِهِمُ الْأَوَّلَى».

أَعْدَتُ سَمَانًا عَجَّةً طَوِيلَةً مِنْ سِيكَارَتِهَا، وَأَتَجَهَّتُ نَحْوَ النَّائِلَةِ، أَمَا
بِرَبَارَا، فَتَضَرَّعْتُ فِيهَا بِعَيْنَيْنِ خَبِيرَتَيْنِ... خَالَتْهُنَّ نَوَاقِلُهَا إِذَا كَانَتْ أَجْمَلَ يَكْتُمُ
عَمَّا تَوَقَّعَتْ... وَأَضَافَ طَوِيلَ قَامَتِهَا مَزِيَّةً إِلَى مَزَايِلِهَا الْكَثِيرَةِ.
إِلَّا أَنَّ بَرَابَرَا كَانَتْ مُقْتَنِعَةً أَنَّ مَعْظَمَ الرِّجَالِ يَقْضِيُونَ امْرَأَةً صَغِيرَةً أَقْدَمَ
دَقِيقَةِ الْجِسْمِ النِّيفَةِ الْمَظْهَرِ مِثْلَهَا، إِذَا لَا يَتَكَنَّى لِسَمَانًا أَنْ تَكُونَ لَعُوبًا وَمَرَحَةً،
خَيْرٌ مِنْ شَعْرَهَا ثَمَانٍ مَزِيحًا فَتَأْتِي مِنْ مَرِيحِ الْفَضَّةِ وَثَمَانٍ الذَّهَبِ، وَكُنْتُ
بَرَابَرَا لَوْ أَنَّ شَعْرَهَا هِيَ بِمَحْفَظٍ يَحْفَظُهُ هَذَا مِنْ دُونَ اللُّجُوءِ إِلَى عَمَلِيَّاتِ
الصَّبَاغِ الْعَدِيدَةِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ بَعْضِ الشَّيْبِ.

أَمَا سَمَانًا، فَخَسَامَتُ مِنْ تَأْخِيَّتِهَا عَنْ التَّكَنَّسِ اسْتِمْرَارِهَا فِي تَجَمُّلِ هَذَا
الشَّجَرِ الْمُرْتَاضِلِ... وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَفْهَمِ الْإِبْصَرَةَ جَرَفِيَّةً مَبْهِيئَةً بِأَسْ بَرَابَرَا
وَحَزَنَهَا، إِذَا بَدَتْ شَابِيَةً وَحَمَّهَا قَارِيَةُ الْأَرَبِيِّينَ، وَلَوْ رَحِمْتَ وَالِدَتَهَا
مَقْدَمَهَا كَمَا كَانَتْ تُتَوَقَّعُ، لَسَرْتُ بِتَفْهِيمٍ مُشْرُوعِيهَا... إِلَّا أَنَّهَا بَعْدَ أَنْ
عَرَفَتْ مَا قُصِيَتْ، الَّذِي دَفَعَهَا وَالدَّهَاءَ لِيَقِيمَ فِي الثَّمَنِ طَرَفًا، اخْتَلَفَ شَعْرُهَا
كَلِيًّا... وَالْآنَ، وَبَعْدَ أَنْ وَاجَهَتْ هَذِهِ امْرَأَةً الْبَارِدَةَ الَّتِي تُحْسِبُ كُلَّ خَطْوَةٍ
تَقْطَعُهَا، وَأَنِّي تَمْجِزُ عَنْ الْأَحْيَاءِ بِحُجُومِ الْأَمِّ، بِدَاخِلِ الْعَالَمِ مَكَانًا مَلِيًّا
بِالْعُدُونِ وَالْكَرَامِيَةِ... وَاعْتَرَكْتَ أَنَّ أَحْلَامَ مَطْوَلَتِهَا انْفَجَرَتْ أَمَامَ عَيْنَيْهَا فِي
أَقْلٍ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً، لَمَّا كَمَا تَفَرَّقَ «الْبُلُونَتِ» وَتَحْتَفِي... وَهِيَ هِيَ
تَشْعُرُ أَنَّهَا قَدْ تَقَلَّعَتْ فِي السِّنِّ وَازْدَادَتْ نَضِجًا وَخَلْوًا.

وَلَمَّا مَا أَتَاخَذَتْ عِنْدَمَا عَرَجَتْ السَّيْلَةَ الْعُجُوزَ مِنْ عَرَفَتِهَا يَمُدُّ بِضَعِ
دَفَاقٍ... وَتَوَقَّعْتُ الْجِدَّةَ لَمَّا جَانِبَ ابْنَتِهَا وَهِيَ تَحْتَفِي:
«بِرَبَابَرَا! لَوْ أَنَّكَ حَضَرْتِ أَيْكُرَ عَمَّا تَوَقَّعْتِ».
«أَجَلْ... لَمْ يَكُنْ يَوْسَعِي أَنْ أَنْظُرَ مَدَّةَ أَطْوَلِ حَتَّى الْفَقِي بِإِثْنِي خِلْفَانِيَّةً».

فَادَارَتْ سَمَانًا ظَهْرَهَا لِأُمِّهَا.

وَعَضِبَتْ اللَّابِدِي دَافْتِيورْتُ عَلَى شَفْتَيْهَا فِيمَا تَفْخَصُصْتُهَا مَعًا.
لَمْ يَكُنِ الْجَوُّ الشَّوْثَرُ مَرْضِيًّا، وَخَسَتْ مَا قِيلَ حَتَّى تَبْدُو سَمَانًا جَذْرَةً
وَبَكْتِيَّةً هَكَذَا... ثُمَّ خَاطَبَتْ ابْنَتَهَا:

«حَسْبًا... لَا تَنْظُرِينَ أَنَّ ابْنَتَكَ جِدَّةٌ قَعْلًا؟»
«هَذَا صَحِيحٌ... وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهَا فَاجِيَتُنِي مِنْ خَلْفِ نَوَاحٍ».
وَأَعْلَنْتُ سَمَانًا فَجَاءَ:

«أَعْتَقِدُ... أَعْتَقِدُ أَنَّي سَابَحْتُمْ... حَتَّى الْآنَ يَرْجِعُكَ ذَلِكَ يَا
جِدَّتِي؟».

أَخَذَتْ اللَّابِدِي دَافْتِيورْتُ اسْتَطْرَاجًا فِيمَا رَدَّتْ قَائِلَةً:

«وَالطَّيْحُ كَلَّا يَا عَزِيزَتِي... أَمَضِي إِلَى عَمَلِكَ».
وَأَتَذَكَّرْتُ سَمَانًا خَارِجَةً مِنَ الْغُرْفَةِ دُونَ أَنْ تُغْلِي نَظْرَةً وَاحِدَةً وَرَاءَهَا.
وَتَطَلَّعْتُ اللَّابِدِي دَافْتِيورْتُ إِلَى ابْنَتِهَا بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَ خَلْفَتِهَا.
«مَاذَا قُلْتَ حَتَّى أَزْعَجَيْتِ الْغُلَامَةَ؟».

أَطْلَقْتُ بَرَابَرَا ضَبْحَتَهَا الرَّقِيقَةَ:

«لَمْ تَلْقِي إِلَّا مِنْدَ دَفَاقِي يَا أُمِّي... فَمَاذَا يُمْكِنُ أَنْ أَكُونَ قُلْتُ لَهَا؟».
فَاجِيَتِهَا السَّيْلَةُ الْعُجُوزُ وَهِيَ تَلْقِي نَفْسَهَا ثَقِيلًا عَلَى الْكُرْسِيِّ:
«أَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ مِنْ مَعْرِفَتِي بِكَ أَنْ بَضْعَ دَفَاقِي عِنْدَكَ تَسَاوِي الْحَبَّةَ
بِكَامِلَتِهَا».

فَعَلِمْتُ بَرَابَرَا بِمُرُوءَةٍ:

«أَنْتَ تَبَالِغِينَ كَمَادَتِكَ... وَالْآنَ، أَسْتَلْقِي الْقَوْلَ... هَلْ اسْتَعْرَفْتَ
أَقَاعِيهَا وَأَنَا طَوِيلًا؟».

فَعَضِبْتُ اللَّابِدِي دَافْتِيورْتُ:

«أَجَلْ... لَقَدْ تَعَبْتُ كَثِيرًا فِي أَقَاعِيهَا... إِنَّهَا قَائِلَةٌ جَذَابِيَّةٌ... هَلْ تَرْغَبِينَ أَنْتِ
بِالْمُظَاهَرَةِ أَنَّكَ خَدَّاءٌ مَرَّةً أُخْرَى، وَتَضْمِينِ عَلَى تَعْنِيكَ غَنَى حَيَاتِكَ
وَشَبَابِكَ؟».

اغْتَرَقَتْ بَرَابَرَا بِبُطْءٍ:

«كَلَّا».

وَتَنَاوَلَتْ سِيكَارَةً أُخْرَى:

«الآن انه لا مناص من ذلك الآن».

فاثبتت أمها ملاحظة منوها القارة:

«طالك ثم ينحرف الأذى ببربارا هاربيت».

فاثبتت ببربارا أمها ثانية:

«تعللين يا حبيبي انه لو حق الأذى بي» فانه سيحلني بك أيضاً في المدي
البعيد. والحقيقة اني فخورة بفضي. بهذه الطريقة اقتل عصافيرين بحجر
واحدة».

فسألتها أمها بحث:

«هل يعني ان تخاطبني بالأمثال؟ على ان أمل ان تكوني غفلة» فانا
أخشى كثيراً اذا ضاع الخبر...».

القت ببربارا بنفسها فوق احد المقاعد:

«أعطني. فكل شيء سيكون على ما يرام. وانك ستري».

كانت ببربارا قد ذهبت عندما عادت سمانتا الى البهو. فحاجتها شعور
بالارتياح لانها تطمش الى جديها. في حين تلوحها ببربارا عبقاً وشكاً. غير
انه توجب على اللايدي دافنبورت ان تطلعها على بعض المعلومات:

«ستقيم ببربارا حفلة الكوكيتل غداً مساءً. ونحن لن نواظب الليلة لانها
مرتبطة... بموعد...».

فسألت سمانتا بجفاء:

«ومع ذلك الرجل الذي تورطت معه في علاقة حب؟».

«بشكل ان تقولي ذلك يا عزيزي شريطة الا تكوني قاسية. فنحن
منسهر معاً. ولذلك قررت الحصول على بطاقات حضور مسرحية. ثم
نضي بقية السهرة في المدينة. ألا يروق لك ذلك؟».

تغيرت ملامح سمانتا وصاحت:

«أه. بلى. هذا رائع. اي مسرحية ستحضر؟».

وقرأها أخيراً على مسرحية كانت تعرض منذ شهرين. وعكستنا من
حجز مقعدين الباقين بواسطة نفوذ اللايدي دافنبورت.

وارتدت سمانتا احد التوابخ الجديدة. وهو طويل مصمم على شكل
قطبان يسبح عليهما مظهرًا من مظاهر القرون الوسطى. وأعارتها اللايدي
دافنبورت وشاحاً من القرون الوسطى به فروعها. ثم اتصت لها بحفلة قاتلة:

«وانك تبعين رائعة يا عزيزي. ألا يا سمانتا! ستقضي وقتاً ممتعاً معاً».

أجرت وحناناً سمانتا حياء وعقبت رقة:

«أقول هذا كله من اجلك. ومن المؤكد ان لأينما قيمة كبيرة اذ رسم

لقضي بك حديقاً جديداً لحياتي».

ووجدت سمانتا نفسها اتاه عرض المسرحية تذكر بأتريك مالوري
الذي التقته بالأمس. فلقد حدثت أمور كثيرة جعلتها تنساه. ألا انها
استرجعت لطفه تجاهها... وتساءلت اذا كان من الممكن ان تلتقي ثانية.
غير انها استبعدت حدوث مثل هذا الأمر. لأنها كن تطيل الكوكيت. اذا
سارت الأمور حسب ما تريد جديها. وستتقل معها الى دافن عما قريب.

فصغلت سمانتا على فروع جديها وهست بلطف:

«كل هذه الأمور جديدة بالنسبة لي. ولا زلت حتى الآن أشعر بصعوبة

قبولي لكل ما حدث».

قرنت اللايدي دافنبورت على بيدها موافقة:

«عليك ان نعوض كثيراً من الوقت الذي ضاع منا. فهلا تمتعت حقاً بما

حولك؟».

زوت سمانتا بصدق قبل ان تركز اهتمامها على الممثلين المتحركين فوق

خشبة المسرح. وتطرد بأتريك مالوري من رأسها:

«أني اقضي الحدود».

وانت السيلتان. امتصتها بتناول العشاء في مطعم صغير منعزل. ثم
قفلتا عائشتين الى الفندق عند منتصف الليل. وبدا الأرهاق على الجدة.
فاصغتها سمانتا حتى بلغت جناحها حيث قالت اللايدي دافنبورت بتعب:

«انصبر اني سأخذ قسطاً من الراحة في الصباح. فاذا زوت الخروج يا

سمانتا قبل ان انفض. فافعلي ذلك شريطة الا تضيعي».

«وعلى أي جد. فقد كانت السهرة رائعة. واني أشكرك جزيل الشكر».

وأوت سمانتا الى فراشها. ألا انها لم تنم. بل اصابتها الأرق ساعات

«فولة» إذ أثارت السهرة أفكارها بحيث حرمتها الرقاد. وفي منتصف ليلتين

قبل الرابعة صباحاً. ولما جلست لتبلي فطورها عند الساعة التاسعة.

احسست وقائماً لم تنم ابداً. فقد اختلط تقييدها للاحداث التي مرت عليها.

وعليها التفكير والخوف من حفلة ببربارا. ومن سيحضرونها.

وبعد الظهور استفسرت من الجني عن صحة جدتها، ثم ارتدت برة
قصيرة من جلد الغنم وغادرت الضيق. ولنجها في البازع هراء بارد فيها
هبت الرياح بقوة، بينما الشمس تحاول اختراق السحاب. وسعدت سمائنا
بحرمتها، فيما زورت معطفها، وانطلقت سراً على الأقدام باتجاه ساحة
ترافيلغار.

كان ذلكان مشواً، وأمكتها وهي راحلة إن ترى عدداً كبيراً من المشاهد مما
هي في السيارة. ثم وقفت لتراقب المافورات، وتبسم لسمائل الأسود قبل
أن تتألف سيرها نحو قنطرة. «الأميرالية».

ابتدت الرقعة المكسرة بالأحبات والأشجار أمامها، فيما لاحظت
سزها عن يسارها. فقررت اجتيازها وأمام نصر كنهها المكى. ومع أن
الوقت كان مبكراً، فإن سمائنا لاحظت زحمة السير، وذكرها هذه المتز
بالسكينة التي عرفتها في بروزيو.

وسمعت صوتاً يتأديها وهي في طريقها لتستقل المصعد في الضيق.
فعلت وجهها نحو مصدر الصوت، وكان صوت رجل، وهي لا تعرف
رجلاً في التكرار على ما تعلم.

تقدم منها رجل متوسط القامة يحمل البنية تقريباً. وكان الطبيب قد غزا
بعضاً من شعره الأشقر. وافترضت سمائنا أنه يتأخر الأربعين. فخطبته
... تلك.

«اجل، هل يعني مساعدتك؟»

«الست أنت ابنة بريارا هاريت؟»

«صحيح. ولكن، من أنت؟ ولماذا نكلني؟»

ابتسم الرجل. وتحولت ملامحه الصلبة رقيقة ولطيفة بعض الشيء:

«اسمي مارتين برايزور. وأنا... أنا أبحث أصدقائك. والذات».

«صحيح؟ ولكن، كيف عرفت أنني ابنتها؟»

أجابها الرجل وهو يلاحظ بعينين ثابتتين دهشة سمائنا:

«ذلك تشبهني كثيراً. هل ترعفين في ثنائوك كأس من الشاي؟»

وعاد الرجل يتبسم. يقفون لسمائنا المضطربة. ثم قال:

«حسنًا، ولكن، ما رأيك أن نشرب القهوة معاً في الروضة الكبيرة سنياً

وإن الساعة غارت الثانية عشرة ظهراً؟» «لأن على يقين أن باستطاعتي إجراء

التربيات اللازمة».

تعبت سمائنا بيروقة:

«أنا وافقة من قلبك. على أن ليست بعناية إلى أي مرطبات الآن.

تشكراً لك. وأرجو أن تغدوني».

«انتظري لحظة. لقد انتظرت ما يزيد عن نصف ساعة حتى أراك».

فمست سمائنا:

«صحيح؟ وهل اتصلت بجدي لتعلمها بوجودك هنا؟»

والحقيقة، كلا. فعين وصلت طليت التحدث اليك. وعلمت أنك

غادرت الضيق. فقررت انتظارك».

رمت سمائنا بحفرة مشككة:

«ومن المؤكد أنك تستطيع أن تقول لي أي شيء هنا في هذه الروضة».

«حسناً، حسناً. دعيا تجلس».

ولما جلسا، قال لها:

«احسب أن من واجبي أن أخبرك بأني مرسل صحفي».

تفعلت عضلات سمائنا وهي تصيح:

«هذا من واجبك فعلاً».

«لا تعظمي مي يا عزيزي. فلنا لا أريد منك إلا حديثاً تتناولين فيه المنة

التي قضيتها في إيطاليا، ومدى معرفتك بوالدتك...».

«انصت سمائنا واقفة ولقد شكلها الغضب. ثم خطبته بنفاه:

«لا تنوي التحدث عن شؤون الخاصة معك أو مع أي شخص آخر.

والآن، أرجو أن تغدوني قلدي كثير من الأعمال».

«انصت سمائنا بينما بقي مارتين برايزور يراقبها من منعد».

«لأن، هذه ابنة بريارا الثالثة من العمر سبع عشرة سنة، أم هل قالت بريارا أنها في

السادسة عشرة؟ على أي حال، أنها مرافقة وابطة الجأش. وقب متساأتم

اتجه نحو الباب حيث سيأخذ الخادم».

«وصلت سمائنا إلى جناح جدتها. وعندما فتحت الباب، وجدت

اللايدي دافنبورت جالسة إلى المكتب لحظ ومالة. فهضت سمائنا:

«جيني؟ هل تغدوني رجلاً يدعى مارتين برايزور؟»

استدارت اللايدي دافنبورت نحوها وقد بان الاضطراب على وجهها:

وأجل، أعرفه يا ابني. لماذا تسألني عنه؟

لأنه كمن في في الرعدة المقلبة لكتب الاستعلامات وبدأ يوجه إلى
اسئلة عني وعن برابارا.

فالتصمت اللابدي دافنيورت بصعب:

ولا شك ان مارتين برايبور محقق بنفسه لأنه من شبه الرجاء نفوذاً في
شارع الصحافة، وهو يكتب عمود الاشاعات والفضائح عن المشاهير في
جريدة الامباسادور. ولكنه بحجة لكل من يرضى ان يشهر اسمه بين
العامة. والجميع يقرأونه دون استثناء.

وعادت تركز على المكتب بحيث لا يمكن لسامانثا ان ترى وجهها. ثم
أضافت:

دوركته يسلط الاضواء على اكبر فضيحة في عالم السينما او المسرح.

فهمت. اظنه احد الذين يستطيعون كشف فضيحة برابارا بالقول ان
ابتها المرافقة تبلغ الحادية والعشرين من العمر.

فحالت القفلة مخافة من اللابدي دافنيورت تمزج حقيقتها:
وهذا صحيح. لكنه احسب صيحاً عندما التفت. وارجو الا تقولي
شيئاً الا بعد تلقيك اياه مسبقاً. فبالامكان نشوء تصريحات تدلني بها الى
الصحافة، ويساء استغلالها ضد قائليها.

وصحيح يا جدي. لقد فهمت. ولكن، ألم تتبادلي الغداء حتى
الآن؟

وكلا. سنتناوله هنا. فهلا طلبت يا عزيزتي من ايجل ان يحضره.

اطرفت سامانثا بينما ابتسمت اللابدي دافنيورت وسألتها:

هل انت متلهفة لحفلة الليلة؟

وليس بالضبط لانها تخيفني.

وعراء. تذكرني ان الناس يريدون مقابلتك معها كان شعورك وذلك
لأنك ابنة برابارا هاريت.

وتصنعت سامانثا الانشام وهي ترد على جدتها:

واعلم ذلك. وهذا ما يزعجني. ولكن، في أي حال، سينتهي الامر
سريعاً.

والخذت الترتيبات حتى يوصل بارنز سامانثا الى شقة امها قرابة

الخامسة والنصف مساءً، لأن برابارا رغبت ان تصل ابتها قبل الحفلة التي
تبدأ عند السادسة حتى ترمي شقتها وتعطىها بعض التعليقات. وأحسب
سامانثا انها اتبه بخادمة استر جرت الليلة لاداء دور ابنة برابارا. ولذلك
عليها ان تلقى الدور خلفاً.

واظهر بارنز استرخاء معها، فسادنا عبوة وهما في الطريق الى شقة برابارا
الكائنة في شارع بلغرافس، فما تخفف من ثوبه سامانثا.

وتركها بارنز في مدخل البناية بعد ان اوصلها باستعمال القصد الى
الطابق الثالث حتى تبلغ الشقة رقم ثلاثة وثلاثين. ثم اضاف:

«ستكون الأنسة هاريت في انتظارك. وانتي لك حظاً سعيداً».

ردت عليه سامانثا مبسمة:

«اشكرك. وانى بحاجتي لدعائك».

واجتازت الممر المروش بالسجاد بيده فبها نظرت الى الارقام الملونة
المعلقة على الابواب. واحد وثلاثون، اثنان وثلاثون، ثلاثة وثلاثون. فقد

وصلت!

وقرعت الباب قرعاً خفيفاً قبل ان تكشف وجود الجرس. قضضت
الثر وقتحت لها خلعة ترتدي بزة رسمية. حينها سامانثا بارتباك وهي

تأسف هذه البداية المزعجة:

«آي أسفة. أليست هذه شقة الأنسة هاريت؟»

اجابت الخادمة باعتداد وثقة:

«صحيح. لا ريب انك الأنسة كلفوري».

«أجل. وان والذي بانتظاري كما اظن».

«اعلم ذلك. تفضل بالدخول».

خطت سامانثا على سحابة قاحلة السوداء اخذت تأملها ياندهاش قبل ان
تضطر لتحويل صيتها عنها اذ دعته الخادمة الى دخول الشقة. وكانت

الحجرة مثل اعلان مصور لقطع الاثاث الجديدة.

وأحسب سامانثا كأنها وقفت صنفرة عند واجهة معرض لقطع الاثاث اذ
خلت الحجرة من الحضور «الانسان» ولمحت في الطرف المقابل للنافذة

الضخمة باباً واسعاً يفتح على الشرفة. فانشدت بانجها بعد ان ذهبت
الخادمة لاجلام والدتها بوضوحها. وقتحت الباب، فخرجت منه الى شرفة

واسعة تطل على ساحة يلفها الجبال. واعتدت تلتقي اقواء الممثل الى ان احضها صوت امها:

«هل تستمعين بالمناظر؟»

استدارت سمانتا لثرى بربارا واقفة في الباب وقد لوتدت ثوبا آمود من الحرير البسيفت خصص لفلات الكوكيتل والتصق بكل مفصل من جسمها الصغير. وتأملت سمانتا امها التي بدت آبه في الحس. كيف يمكنها ان تكون شريفة الى هذا الحد؟ واجابتها اخيرا:

«اجل. احسب اني اول الواصلين».

«اجلي. تعالي الان الى غرفة تومني حيث تخليين مصطفتك وتقوم كلابيد على شريح شعرك لان الهواء قد عيث به قليلا».

«كلايد؟ هل هي المرأة التي فتحت لي الباب؟»

«لجلي. هل ازعجتك بشي؟»

«قليلا».

ابتسمت بربارا واجابتها:

«عندما تعرفين الى كلايد، تكشفين فيها امرأة ممتازة».

كانت غرفة بربارا واسعة ترمج النظر بالمقارنة مع صحناء ودعة الاستقبال. فالمسجدة قرطبية اللون، والسنائر المقصبة وردية، اما غطاء السرير، فله لون القشدة والورد. وشعرت سمانتا ان هذه الغرفة لا تشبه معرضا للآلات كالرتمة.

ميرحت كلايد شجر سمانتا، فيما رشت عليه سائلا بيت الشعر. اما بربارا، فاطرت اخيراها بلابنها:

«ارنى انك اخبرت انسب اللباس لحفلة من هذا النوع».

ولما خرجت كلايد، قالت بربارا لابنتها:

«سنقضي هنا في غرفتي حتى نخرج معا بحيث يظن الجميع اننا كنا تباركنا لاسر الساقية».

وبينا تعادلت سمانتا وربارا في غرفة الاخيرة، عملت كلايد على ترتيب اطباق الكوكيتل ووضع الصواني. وعندما فرغ الجزم معتلا قدم الفسيف الاوائل، كان كل شيء قد رتب. وكان لون الواصلين يشارلز باريت، وكيل اعمال بربارا، وزوجته الشابة أنابيل. وتحدثت أنابيل بركة

وجاذبة الى سمانتا فحدثتها عن حياتها المنعزلة في ايطاليا. وعن مدى استمتاعها بلندن.

وكان على سمانتا ان تدعي انها نشأت في ايطاليا على يد مربية متقدمة في السن، وثقلت ذرونها في أحد الاديرة. وهذا يحد ذاته صحيح. كما توجب عليها ان تقول انها دخلت المجتمع بناء على اقترانها هي وبعد قناعها لوالدها التي اصررت على ضرورة اكتمال تعليمها وعودتها الى لندن.

حضر الحفلة علة من الأزواج والزوجات المرتبطون بالمرح. وبعد ان تعرفت سمانتا على بعضهم، لم تعد تذكر الاسماء. ووصل شابان في الثامنة عشرة من عمرهما بعد نصف ساعة من بداية الحفلة. فاحضرتهما بربارا الى ابنتها قورا قائلة:

«سمانتا، اريد ان اعزلك بأتين من اميدقالي. كين ماينسون وأندرو فرايزر».

ابتسمت سمانتا للشابين وصافقتهما. ثم وصلت شخص آخر، فاعتقدت بربارا وهبت لتعني الزائر الجديد.

كان أندرو فرايزر أكثر جاذبية من صديقه. وقد انقرد بسمانتا اذ انشغل كين ماينسون بالتحدث الى وكيل اعمال بربارا. جلس أندرو مع سمانتا على أريكة واحدة وقال:

«اما الآن، فحدثيني عن نفسك».

والحقيقة ان حياتي خالية من الأحداث الكثيرة. فحدثني انت عن نفسك. ماذا تعمل؟»

استد أندرو رأسه على ظهر الأريكة الجلدي:

والحقيقة اني وكن تقوم بعمل مشترك. ولولم تعيش طوائ هذه المدة في ايطاليا، لاسرعت الى القول بانك كنت تستمعين بنا. فنحن نطلق اسم كين أندرو على فرقنا. هل فهمت؟»

«اجل. هذا عظيم. هل تغنيان معا؟»

فهمه أندرو:

«اجل. بصحبة القيثارة. وهذه هي البدعة الرائجة في هذه البلاد الآن. ام نعلك لم تسمعي بها؟»

«أنا، بل أنا أعلم أن هناك عدداً كبيراً من الشباب في ... فرق
غنائية، ليس هذا صحيحاً؟»

«بل ... نحن نأتي بعمل معنا خيال يدعى ريكي لاندور، غير أنه
بطيء ...»

«بطيء؟»

«أنا، ... ليس ... ليس مزيج البديهة»

استمعت سمانتا بحديث رفيقها الشاب، فكانت:

«والا بطيء! أعضاء هذه الفرق شعورهم؟ صحيح أن شعرك ... طويل
نوعاً ما، إلا أنه ليس بطول شعور بعض الفتيات الذين رأيت صورهم في
المجلات والمصحف منذ حضرت إلى الكشافة»

قوة بشيء من الغم:

«الحقيقة أن أمي لا تظن أن ترى شعري طويلاً»

وتحدثت بربرا عن ابتها بين الحين والآخر، فشبهت سمانتا سلوكها
بالسواك المفروض على الوصي الأمين، وأرضاعها عثور سمانتا على شخص
يسليها بحيث لم تعد بحاجة إلى ابتها والدتها المستمر.

وامتلات الفرقة بالمحبين، فتساءلت سمانتا إذا كانت أبها ستعرفها
على الرجل الذي قالت جدتها أنه أصبح جزءاً منها من حيلة بربرا.
وقدمت بربرا العديد من الرجال العازبين إلى سمانتا، غير أنها ساوت
بينهم في الأهمية.

ومرغ جرس الباب بعداً، فاجتهدت بربرا نحوه لفحصه، وتطلعت
سمانتا بتكاسل وهي تتوقع أن ترى زوجين حضرا إلى الحفلة وقد تأخرأ
كثيراً، وأمكنها أن تسمع حديث والدتها الحسوي، وراة الرائر يتفقد ويخضع
معطلة وقد أدار ظهره لأمها، تغيرت هيئة بربرا قليلاً، وازدادت حيورتها
وزقتها، وانكشف وجه الرجل، فاستضع وجه سمانتا، وتجهج غيا أندرو
الذي كان يسدد إليها نظره ومعاذها من آخر الصراعات في عالم الرقص.

وسأله يقلق:

«هل هناك ما يزعجك؟ إن وجهك شاحب»

هزت سمانتا رأسها:

«أني بخير»

«إذا كان يهيك أن تعرفي الزائر الجديد، علي أن أعطك اته خالي»

أجبرت سمانتا نفسها على الاحتفاظ بهدولها:

«هل هو خالك حقاً؟ من ... من هو؟»

«أنا أمي، من الواضح أنك قددت كل اتصال بانكيترا، انه باتريك
مالوري الكاتب المسرحي الشهير، وهو الذي يكتب المسرحية الجديدة التي
ستقوم لملك فيها بدور البطولة»

«أذن، فهو يكتب المسرحيات!»

«ويكتب سمانتا رفيقها بصعوبة، فيما قال أندرو:

«هل ترضين في لغاته؟ يتخيل أني أن بربرا ستحضره إلى هنا، فيها قريبان
جداً من بعضهما»

وتبعت سمانتا إلى حافقتها، ألا أن لسانها اعتقد في هذه الاثناء،
وانشدت عيناها إلى باتريك بصورة آتية وقد انقسم ابتها إلى الحافة فيها
يتحدث بسهولة، وهذه إلى أمها وعدة قليل من الضيوف الذين تحلقوا
حولها، وتخل لسمانتا أنه رائع بيزته الرمادية الداكنة، وشعره الاسود
المسرح بدقة لا تضاهي، وبشرته السمراء التي تلفت الابصار.

هل يمكن أن يكون هذا هو الرجل الذي تريد أمها أن تزوجه؟ كلا،
بالضيق، لكنها وثقت أنه هو، من المؤكد أن بربرا تصرف على هذا النحو
تجاه أي شخص آخر، ولم يخرج منوكها عن إطار الشخصية التي رسمتها
لها ابتها، انها الآن جذابة وفتاة بانوئتها البالغة، وقد زالت عنها البرومة،
تحولت إلى امرأة شابة مغرية تسعى بكل جهدها إلى أمر رجل وسيم
واستعياحه.

ثم بدأت سمانتا تقييم موقفها الشخصي على ضوء هذه الخواطر، فمن
التفويض أنها ابنة ستة عشر عاماً، وستقدم إلى باتريك على أنها ابنة بربرا
المراةقة، وعالودها انقباضها وتكتمها السابقان، لو أن بربرا قبلته بما كما
هي!

ولكن . ماذا تهم مسألة عمرها؟ فأيا يكن عمرها، لن يتكرم عليها أحد
بأنظر من نظرة طائفة بقيت برياراً يعوارها . وبرياراً مصممة على البقاء
بحوارها . وهي لا تشك في ذلك لأن سمات التمسك والسيطرة بارزة في
كل ملمح من ملامح والدتها وهي تلك نواع باتريك مالوري بوقاحة .
وربما بعض عصير الاناث فيها حاولت تكيف نفسها ثانية مع
أندرو الذي استأنف حديثه . صحيح انها ظنت في حالة ذهول . إلا أن
الصدمة الأولى قد وُت . ومثلت أندرو وهي عاتجة عن تحمل المشكلة
بفردها .

«أخبرني، كم هو عمر حائك؟ أخاه لا يزال عازباً .
وجيل . انه ما زال عازباً . وهو يناظر السابعة والثلاثين من العمر على ما
اظن . ولكن ، لماذا تريدان ان تعرفي؟»
«وقتها ثم اضاف :
«وحل لمحيته جذاباً؟ من معظم النساء يشد طرفك شعورك . ولكن ، ربما
لا رأت صغيرة . وأملك لم تبلغ هذه المرحلة من العمر» .
«تصفت سماتاً الأتسام وهي تحبها .
«ولا اوافقك على رأيك . لأنني اعتبره جذاباً للغاية» .
«ازدادت تكثيرة أندرو تساعاً :
«وماذا عني؟ هل تعتقدان أن بشكائك تحمي طوق السهرة ، في الخارج
وتفردك جميعاً؟» .

«اطل ذلك . ولكن ، هل اعتبر كلامك دهوة؟» .
«وبكل تأكيد . وما عليك إلا تحديد اليوم» .
«لم ضحكنا . وخطر لسماتاً خاطر جعلها تعرف لماذا لم تدعشها والدتها
خلال لقاءها الأول . انها هي المرأة التي استقبلت باتريك مالوري يوم
وصرفها من مطار ميلانو
«والله فكرة ذعب امها الى المطار لاستقبال باتريك مالوري . وهي على
الأرجح تعلم انها سيصلان معاً ومع ذلك لم تبدل أي جهد لتعديد مكان
ابنتها . الله ما أحسن قلبها !
«وبلعت سماتاً ريقها بصعوبة مرة أخرى . عليها ان تحافظ على هدوئها
مهما بلغ اللحن .

«ولم تدعش لكون باتريك مالوري أحد المشاهير . فهذه الحقيقة توضح
سبب تعلق الصيفة له . ولكن انقطع ما في الأمر هو معرفة برياراً الجيدة به .
«ولا شك انه السبب في عدم مشاهلة سماتاً لأمها الا قليلاً منذ وصولها إلى
لندن . ولا بد ان يكونوا قد انطيا الساعات الطوال مع بعضهما .
«وكانت سماتاً تقفز عندما سمعت صوت أمها يرن في أذنها :
«أود ان أعزقك يا حبيبتي بصديق عزيز جداً .
«اتصبت سماتاً واقفة فتصورت انها طغت على برياراً وقدما الصغير .
«لكنها لم تشعر بالنقص لأن باتريك مالوري كان أطول منها بكثير ، فحدثت
فيه بضمن . وعكست عينا استغراباً والشداهاً لحظة قبل ان تتناول برياراً
طرق الحديث :

«عزيزي باتريك ، هذه هي سماتاً . سماتاً الصغيرة كما ادعوها . لكنها
ليست صغيرة ابداً كما ترى» .
«زادت كلمات برياراً ابتها حرة وإثباتاً . اما باتريك مالوري ، فاستمره
هدوءه والجلب :
«انما آية في الحسن يا برياراً . وارى انك دقت دُرُك طوال هذه
السنين» .
«لم تتوقع برياراً صلور مثل هذا الفعليق عن باتريك . الا انها
استطردت :

«كم كانت بهجتي عظيمة باسترجاعها» .
«انا واثق من ذلك» .
«اطبقت سماتاً اصابعها على كويب العنصر لأن سخرته كانت واضحة .
«وتثبتت ان برياراً تحس بها ايضاً . غير ان الاخرة لم تظهر الزعاجها حين
اضافت :

«هل يعني أندرو بك جيداً يا حبيبتي؟» .
«فابتسم أندرو :
«وبكل تأكيد» .

«ابتسم باتريك لاین شقيقته البسامة دافئة اقتمت سماتاً انها حديدان
حيثان . ولا تمكنت سماتاً من النطق آخر الأمر ، قالت لأمها :
«اني استمتع بصحبة أندرو . لقد سمعت يا سيد مالوري انك كاتب

مصرحيته.

يل باتريك شفيعه بلسانه قبل ان يرد:
«اجل، وقت، ماذا... ماذا تعلمان؟»

عفت برياراً بهجت:

«لا شيء، طبعاً. ولا يجب يا عزيزي ان تبالغ في مزاحك مع سمائنا لأنها
مستقيم مع والدي في دافن. اليس ذلك ممكناً؟»

جز باتريك كتفيه العريضتين قتلاً:

«وإن كنت سمائنا ابتك يا بريار، فاني تصورها تفضل حياة المرح

والأضواء على حياة الجمول والركود في الرقعة»

اطبقت برياراً شفيعها. واجتست سمائنا ان ضير امها بدأ يتخذ فيما

اوضحت:

«لا تنسى يا عزيزي ان سمائنا لا تزال مرهقة»

هنا، رد أندرو عليها بقله:

«لم يعد المراهقون من عداد الأولاد في هذه الايام. قانا في الثامنة عشرة

من عمري كنت اقطع ببحر الاقتراح»

استدقت شفيعاً برياراً وهي تلمح بفرق مصطنع:

«أرى انك تقرر ان مستقبل سمائنا بدلا عنها. والافضل ان شئنا ان

نزيد ان نقيم»

الفتى باتريك نظره باتجاه سمائنا:

«وفعلاً، ما رأيك يا سمائنا؟ على تروق لك الحياة الحادثة الرتيبة؟»

تردبت سمائنا برهة وقد لغبت ان نظره برياراً الشرسه المصبوبة نحوها:

«انا... الحقيقة... لم أزد دافن ابداعاً... منذ سنوات عديدة على

الأقل»

ثم اسرعت لتضيف:

«ووجدتني تقول ان لديها خيراً لا تتدرب على ركوبها... وهناك الريف

استكشقه»

التمعت السخرية في عيني باتريك:

«ولكن، هل ستعجبك الحياة هناك؟»

فصاحت برياراً وقد خابها صبرها:

«طبعاً ستعجبها. هيا يا باتريك، فاني أريد ان أقدمك الى الناس

كثيرين»

سمح باتريك لبرياراً بأبعاده عن ابتهاك غير ان سمائنا رأت المكافء

تتعرض في نظره المرتبكة. لو أنها لم تثنى به في الظلوة، كم كانت الأمور

مستكون اقل تعقيداً: من المؤكد ان برياراً لن تنزع اذا علمت بالامر. فكيف

يسمعا ان تفسر لباتريك سبب استيقاظها في المطار، وهو القدام مع ابتهاك

في طائرة واحدة، دون ان تكلف نفسها عناء التحدث الى فتنة كيدها؟

وهناك قضية مقتل والد سمائنا مؤخراً. فكيف يوفق باتريك بين هذه

الحقيقة وبين ادعاء برياراً ان زوجها توفي منذ زمن بعيد؟

ويتجشئون عن خيوط العتكوينات هنا مأزق ادعى واضطر.

لم يستطيع أندرو ان يفهم سبب انفعال سمائنا. كانت تخفق في كونها

دون انقطاع. ولم تعرفه كبير اهتمام. لكنها قالت في غاية اللطاف:

«الرجو العذرة. فهذه وقاحة مني. ارجوك ان تراجع حديثك»

ولمحاذا بعض الوقت قبل ان يخرجها الى الشرفة، حيث لم يمرور احد على

الذهاب رغم ان أبواب التذرة كانت مفتوحة. الا ان سمائنا وجدت فواء

البارد منعشاً بالنسبة الى حرارة الغرفة وجوها الخائف. وعلقت تتساءل كيف

يمكنها ان تجبر برياراً بانها يتحدث الى باتريك مالوزي قبل اليوم. لقد

تصرف كلاهما وكأنها غريبان عن بعضهما. وهذه غلطة باتريك بفكرها هي

غلطتها. فقد كان بإمكانه القول انها الثقا في الطائرة. ولكن، لماذا لم

يفعل؟

وانكأ أندرو على دوايزين الشرفة. ثم قال:

«الجو حسن الليلة. فماذا تودين ان تفعل بعد انتهاء الحفلة؟»

ردت سمائنا بصراحة:

«لم المكن حتى الآن. هل لديك أي اقتراح؟»

بدت لها فكرة الابتعاد عن كل هؤلاء الناس فكرة حسنة.

لا عمل لدينا انا وكون الليلة. فإ رأيك ان نقضي السهرة معاً؟»

اوضحت سمائنا بتمهل:

«هل ان اقبله اذن من والدي أولاً. كما ينبغي ان استشير جدتي»

فغيب أندرو:

والحقيقة اني اقترح على سمانتا تناول العشاء معنا الليلة . الا ان أندرو عرض أفكارا أخرى .

لم تستطع بربرا إقناعه بترجائهما ، بل صاحت :
«اني اشاطرة وأيه لأن من الواجب ان تقيم سمانتا صداقاتها الخاصة . وهي كبيرة الى حد لا يسمح لها بالحضور معنا» .
ابدى باتريك ملاحظة ساخرة :

«لعلها تستمتع بصحبتنا . ومن يسمعك يا بربرا تطردين ابتك وتغيبا الى دافن فور وصولها الى لندن» ، ويرى انك لا تسمحين لها بمشاركتنا العشاء ، بحسب انك لم ترغبي في وجودها أصلاً .

فاهتمت بربرا بخجلا وانابتها ، وأدبر أندرو وجهه ليخفي استمتماعه بالشجار . فباتريك هو الرجل الوحيد بين الكثيرين ممن عرفتهم بربرا يستطيع ان يعاملها على هذا النحو . وقد عانت للمرة الأولى تجربة تسليط الأصواء على شخص آخر يظف الي جانبها .

انتهت حفلة الكوكيتل بعد الساعة قليلا . ولما كان باتريك مالوري قد غادر الغرفة قبل نصف ساعة ، سرت سمانتا بذلك لانها استطاعت ان تراقب أندرو في السهرة كما اقترح . وعندما ابليت امها يدها ، افهمتها عينا بربرا الغائرتان انها في حالة حزن وغيص . وتأكدت سمانتا انها لو بقيت مع والدتها لوحدها ، لصبت عليها جام غضبه الذي كانت تحاول إخفاءه . ولم ير الغضب في عيني بربرا أحد سواها .

أهتضب أندرو سمانتا ان ياد في تسلسلي قلعه موسيقى صاخبة ، فرقة من قارعي الطبول تعزف نغما تلو الأخرى . فيما أعضاء النادي الشباب يتنقلون من رقصه الى أخرى بشكل جنوني . ورات سمانتا في ذلك شيئا جديدا مذهلا . ولم تصدق ان عليها التنبؤ للمشاركة في هذا النمط من الرقص .

ولما تعرف الموجودون الى أندرو ، القوا قبالة بين يديه . وطلبوا اليه ان يغني . فدهشت سمانتا ، الا ان دهشتها سرعان ما تبدلت لتتقلب حماسة وفرحاً حين بدأ يغني الاغاني الشعبية التي شهرها هو وكن مايدسون . ولما عادا الى طاولتهما ، أمسكت بيده بقوة وعنفوت .
«كنت عظيمًا ورائعًا» .

«الا تعتبرين صحتي أكثر امتاعاً من صحة جديتك ؟ وجدت الحل .
«ان اجرب ناديا للرقص يقدم موسيقى حديثة . هل تجيدين الرقص ؟»
رددت سمانتا ضاحكة :

«كلا . لكني سأتعلم . وأعتقد ستكون معلماً ناجحاً» .
عندئذ سافا صوت متمهل :

«وعاذاً سيعلمك ؟»
استدارت سمانتا لترى باتريك مالوري يستند الى اطار الباب الواسع وهو ينظر اليها نظرة متعكبة . فرمت أندرو بنظرة وهي تقول :

«استخرج الليلة ... سوياً . وسنمتحن أندرو كل الرقصات الجديدة» .
«تسببت قامة باتريك وهو يسافا :

«هل سيفعل ؟ ظننتك ترجين تناول العشاء معي ومع والدتك . فلا بد ان تعرف بعضنا بشكل أفضل . الا تعتبرين ذلك ؟»
احسنت سمانتا بالدم الحار يتساقط الى خديها . ولم ترغب بان تقضي الاسبوع معه لان لاخطار انجسها سيكون اكثر مما تظن . كما انها لم تكن ترغب في ان تقدم له افترافاتها . ولشد ما اراحت اذ قال أندرو قبل ان تمكن من الرد :

«ماذا ؟ هل تريدنا ان نقضي الاسبوع وهي تؤدي دور البخيل ؟ لن يحصل ذلك يا باتريك فهي ستخرج معي . وفي اي حال ، الا تجد شيئاً أكثر إثارة تسلية تفعلك ؟»

اضطرب باتريك ، وابتسم ابتسامته الجذابة المألوفة :

«وما همك بشؤون وبشؤون معني وتسايق ؟»

فضحك أندرو :

«لاي . احبك كما احب نفسي» .

وهنا اندفعت بربرا خارجة من الباب الواسع صاخبة :

«باتريكه ، ماذا تفعل هنا ؟ كنت بحث عنك»

ثم الكفت ورايت ابتها وأندرو . فسألتهن وهي تبسم ابتسامه غاضبة

بعض الشيء :

«هل قاضيت حديثكم ؟ فاقتم جيداً تبدوون كأنكم تتأملون ؟»

نظر أندرو الى خاله باضطراب . فقال باتريك :

قنعم أندرو قائلاً:
وهيا نرقص. وثرقص معاً هذه المرة. هل انت موافقة؟
«اجل».

ورقصا معاً بفرح. ووجدت نفسها تفكر كما تفكر ابنة ست عشرة سنة.
وسرها عزمها السريع من حال الى حال. فقد رغبت منذ ساعات قليلة
وبصحية باتريك مالوري ان تكون إحدى النساء القوي يعجب من مثل
امها. في حين تحولت الآن مع اندرو الى مراهقة.
وعندما تذكرت باتريك مالوري، تخطر قواعدها التي احست بها
حديثاً. ولم تفكر ان تتخلص من تأثيره المغناطيسي عليها بالرغم من كل
علاولها. صحيح ان أندرو لطيف ومرح وغير بالفتيات، هل ما يبدو،
الا ان باتريك كان شيئاً آخر. فهو مجرب ايضاً، وشوي تعذيبه الحزينة
احياناً بان تجاربه لم تكن مرضية دائماً. وقد شعرت سمانتا بانزاتها القلبية
في حضوره.

«لماذا تفكرين؟»

اجابت متعبدة:

«لا شيء. ان باتريك مالوري رجل جذاب للغاية، اليس كذلك؟»
سدد اليها أندرو نظرة استغراب:
«يا لغير! انه يكبرك كثيراً من حيث السن»
«اعرف، اعرف. لقد حاولت ان اكون موضوعية في تقيني»
فقال أندرو متشككاً:

«هل حاولت حقاً؟»

«هل انت الابن الوحيد لابويك؟»

«نعم متعجباً»

«انا كلا. فان في شقيقين وثلاث شقيقات»

«هل انت اكبرهم سناً؟»

«نجا. ان جدنا لامي ايطالية»

«وهذا يفسر سبب سمرة خالك»

«صحيح. فهو يشبه امه في حين تشبه امي والدتها المتحضر من اصل
ايرلندي. انه ليرات محط، اليس كذلك؟»

قهقهت سمانتا. لقد قضت سهرة متعة رغم ما شابها من تعقيدات.
عل انها كانت متعبة الى حد بعيد عندما وصلت الى الفندق. ولشد ما
وشت اذا وجدت جدتها لا تزال ساهرة بانتظارها.
وسألها الجملة:

«هل قضيت وقتاً ممتعاً يا عزيزي؟ انك تلبين مشوقة. ولا بد انك
انتمتت بسهرتك»

«نعمت سمانتا مؤكدة»

«لقد فعلت. لكنها كانت سهرة متعبة»

«وبدا الفشل على وجه سمانتا وهي تسأل»

«ولكن، لماذا ما زلت ساهرة؟ أولست متعبة؟»

«عفت اللابدي داغنيورت عل شفها»

«اريد ان احدثك في أمرهم. لقد... لقد خضرت بربارا الى هنا هذا
المساء وهي في حالة غضب شديد»

«توقفت سمانتا عن عملها لتسأل»

«لماذا حضرت؟»

«يبدو انها كانت غاضبة لأن حبيبها... الحالي... قد غيب أمانها»

«هل تعرفينه؟»

«الطيفه هذا المساء. لم تحبوك بذلك؟»

«الحقيقة انها فعلت. فهل قلت شيئاً يثير غضبها يا عزيزي؟ لقد كانت
في حالة هستيريا. وقالت انك جعلتها تبدو مغلقة»

«اتمتعت حيناً سمانتا»

«يا لكساء! انها هي التي جعلت نفسها تبدو مغلفة. اليس لها شيء من
الكبرياء؟»

«اجابها اللابدي داغنيورت»

«وان عثورها على رجل لا يتقاد فاسهولة تجربة جديدة عليها. ويبدو ان
باتريك مالوري يلعب لعبته ببرودة بالغة»

«نصمت سمانتا وهي تشر بارتياح عازم بالرقم من كلمات جدتها
القلقة»

«هذا صحيح»

«حسناً يا سماتنا، على أية حال، احرص في تصرفاتك امام أمك لا في
لا أريد ان يظن بك أي شيء، برباراً شرساً للغاية عندما تغضب».
صاحت الحقيقة الشابة:

«لكني لا أرى أن ارتكبت غفلة، قضيت السهرة مع أندرو غرايزور ابن
شقيقة باتريك مالوري، فما الخطأ في ذلك؟»
«لا شيء»، لقد فهمت أن حصة الكوكيتل هي السبب وراء كل هذا
الاضطراب، ويبدو أن أمك تعتقد انت كنت تسحرين منها، فهل
فعلت؟».

تهدت سماتنا:

«كلا، يا جيني، ثوابت كيف حاولت أن تشللك هذه الرجل.
وان اختار باتريك قضاء سهرته في مكان آخر، فالذنب في ذلك دوماً.
لقد حاولت السيطرة عليه، واستعباده، ولا أظن أن يفلتور أي امرأة أن
تسلط على باتريك مالوري».
«هذا واضح، حسناً يا سماتنا».

«فرددت سماتنا برقة، هل تغير جدتها بلغاتها مع باتريك مالوري في
الطائرة؟ لم تستطع أن تجد الكلمات المناسبة للحدث عن هذا الأمر، فهي
متعبة للغاية هذه الليلة، أوهها ما أحاط بها من مكر وخداع وكراهية،
وأخيراً، سألت جدتها بحدود:

«هل يزعمك أن لوي إلى فرانسي الآن؟».

«استصحت اللايدي دافنيورت لها وهي تربت على رأسها:

«كلا يا عزيزي، واني أسفة على انسداد سهرتك هذه الجوار».

«فالت سماتنا برقة وهي تنحي لتقبل وجدة جدتها:

«ثم فعلت ذلك، والألاء، تصبرين على خبر يا حبيبي، لا تضطربن، فانا
اتصور اني كبرت كثيراً منذ لقائنا الأول، واني لعل ثمة ان كل شيء سيكون
على ما يرام».

٤ - الجميع يريدونها . . .

غادرت اللايدي دافنورت الفندق باكراً في صباح اليوم التالي، بعد أن
أبضت سماتنا أنها ذاهبة إلى حمامها تاركة لحفيدتها الحرية في ترتيب شؤونها
الخاصة. وشعرت سماتنا أن برباراً لا بد أن يحضر قبل الظهر وتطلب منها
تفسيراً لما حدث، ففروت الخروج وتأجل الشجار شبه المضمحل بينها.
وبينما هم بالخروج، رن جرس الهاتف.

«واتت إيجل طالبة إليها الرد على المخابرة، بينما رفعت السماعة قائلة
«يجتاح اللايدي دافنيورت، هل يمكنك مساعدتك؟»
«بالفعل يمكنك».

«خفق قلب سماتنا، كان الصوت صوت باتريك مالوري فسألت
مضطربة: «آه، صباح الخير يا سيد مالوري، هل تريد محادثة أمي؟ إنها
ليست هنا».

«قاطعتها باتريك:

«كلا، اني أريد أن أحدثك انت، ألم تتوقعي ذلك؟»

الحقيقة أنها انتظرت حدوث ذلك في الأمام، أما اليوم، فأنها كانت
تتسى الأمر لاجلقتها في القهوب من والقتها، وأجابته متبهة:

«توقعت ذلك، وأعتقد أنك تريد تفسيراً، الحقيقة اني لا أعرف من
أين ايذاً».

«كلا، اتصور ان من الصعب التطرق إلى الحديث الآن، اسمعي، لا
أرغب في مناقشة الاسرار الشخصية على الهاتف، بل أريد رؤيتك».
«أرقت سماتنا على كرسي واطيء خائفة:

« افترض ان ابي سائق تكسي يعرف اين يقع هذا العنوان »

فقهقه بآثريك :

« آه كم تغيرت يا سمانتا ، فلأشروع خلال لم تكوني على دراية بطريقة

غلب التاكسي »

ردت عليه بجلدة :

« الناس لا يتقي على حال »

وبدا انه ينتظر ردھا ، ولما لم تفعل ، استأنف كلامه : « حسناً انتظر

تدومك بعد قليل »

فجالت يدهو :

« اجل يا سيد مالوري »

واقفلاً لخط ، ولم تلبث ان انطلقت الى خلفها بعد ان طلب لها التراب
مباركة اجرة وبذبت هائلة بالرغم من اضطراب معدتها ، فان هي سمحت
للذعر بان يضلکها ، لاخفتت في منعاعها ، وعليها اذاعة لقائھا بطريقة
توافق عليها يربوا ، صحيح انها لا تريد ارضاء امھاء ، الا ان جدتها تستحق
هذه الالتفاتة ، كما يجب ان يفهم بآثريك مالوري انھائس من السهل
ارھاها .

ضربت سائق التاكسي بعد ان دفعت له اجرة ، ثم تسلفت ثلاث
درجات حجرية الى منزل رقم ٣٤ في الباب الواسع ، والطرق النجاسية ،
ورفعت القارعة ، ثم افلتتها لانتظر ان يفتح لها الباب وقد ادخلت يديھا في
حبي معطفھا بحضبة .

كان يوماً لطيفاً معتدلاً ، الا ان سمانتا ، التي لم تألف تغير الطقس
المفاجيء ، شعرت بلذعة برد ، وقجاً في فتح الباب ووقفت امامھا سيئة
متقدمة في السن ترتدي بزة سرداء ومزراً ذا مربعات ، وتأكدت سمانتا ان
السيدة ليست الا مديرة منزل بآثريك ، فقالت لها :

« آي... آي قادمة للقبالة السيد مالوري ، وانه بانتظاري »

فأبسمت المرأة لها بقلعة :

« آه ، اجل ، لا بد انك الانسة كنتزلي ، تفضل بالدخول ، ساوصلك

الى مكتب السيد مالوري الذي يتطرك »

كان نظام التدفئة المركزية في المنزل يميء جواً الخفيف بكثير من الهواء
البارد في الخارج ، فتحررت سمانتا من معطفھا جزئياً وهي تنظر الى ما

« آه ، هل تريد ذلك ؟ »

« اجل ، والان لورا ما هو برنامجك اليوم ؟ »

« حسناً... قال أندرو انه يستكمل في اوست لوري برنامج حدثي التي

قصدت عملھا هذا الصباح »

« حسناً ، هذا يعني انك حرة حالاً »

« اعتقد ذلك ، هل تريد ان تحضر الى هنا ؟ »

وسمعت سمانتا ضحكة بآثريك العذبة :

« آه ، كلا ، لانا تصوران يربوا ضروريا في ابي وقت ، ولا اريد ان

تقطع محادثتنا بسبب قدوم امك العزيزة »

« حسناً ، ماذا تريدني ان افعل ؟ »

وشعرت سمانتا بالاضطراب ان لم تأخذ ان من واسيها مقدمة بآثريك

مالوري في ابي حال ، ولكن ، كيف يمكنها ان ترفض ؟ واستأنفت حديثها

متبيلة : « اصدقك القول بآثري لا اعرف اذا كان من واجبي ماأنتك في

ابي لمر من الامور دون موافقة امي... »

رد عليها بآثريك بصوت بارد يغلب عليها حجة الامر :

« اذا لم تدينني الا ، استكون في مع والدك تضع كلمات نجاسة »

وايقنت سمانتا انه سينفذ تهديده ، وكانت اعصابها مشدودة لاسيما

وجدت موقفها غاية في المخرج ، ولم تردھا معاملة بآثريك للامر حياً له ،

واعترافا غريب جانوبه ببنأ حالت :

« حسناً ، وماذا تقترح ان افعل يا سيد مالوري وانت كما يبدو انك

يكل الأوراق ؟ »

« هذا افضل ، اطمني يا سمانتا ، فانا ان لكك حتى واوكت طفاً

شهاً ، واني اريدك ان تحضري الى منزلي »

ذهبت سمانتا ، ورجعت :

« منزلك ؟ وهل لك منزل في لندن ؟ »

اجابھا بجفاء :

« وهذا واضح ، وعنوانه ٣٤ هاي تاور رود وهو متفرع عن شارع غرايت

بورتلاند ، فهل انت قادرة على التوجه اليه ؟ »

غضت سمانتا على شفتھا حتى سال منها الدم ، واجابت بجفاء :

حولها يشفق.

«تفضل من هنا يا أنس!»

فانصرفت سمائنا وهي تلحق بالسيدة عبر الباب ثم المجر العائز لمت السلام. وقرعت السيدة على الباب. ثم فتحت عندما سمعت صوتاً منخفضاً يقول:

«تفضل!»

وادخلت السيدة العجوز سمائنا إلى الغرفة قائلة:

«الآنسة كنزلي يا سيدي»

ثم نهبت مذبرة المنزل وأغلقت الباب وراءها.

احسنت سمائنا أنها أحد المشاهير الواقفين أمام القاضي. ألا أنها

انصرفت واقفة وتطلعت إلى داخل الغرفة بألم.

كانت الحجرة جذابة للغاية. فبعد أن صيغت سمائنا الحداثة المصطنعة في منزل أمها، توقعت أن ترى شيئاً مشابهاً في منزل باتريك. ولكن كم كانت مخيبة.

كانت جدران الغرفة مغطاة بالواح الخشب أيضاً كالغرفة، إلا أن خزائن الكتب احتلت معظم مساحتها. فزات فيها مكتبة أكثر منها مكتباً. وكانت الغرفة دافئة ومرحبة تبعث الطمأنينة في النفس. ولولا الآلة الكاتبة القائمة على المكتب لما أحس الإنسان بأنه يعيش في القرن العشرين. إذ لا يوجد جهاز هاتف في الغرفة. وتصورت سمائنا أن باتريك يقرئ في عمله إلى حد أبعد كل شيء آخر عن التفكير. ويحل إليها أن استغلاله في التفكير يتضع في كل شيء. كما انصاح في دعوته بما بالحضور إلى منزله قوياً.

ونفضي باتريك من خلف مكتبه بقائه السيدة وكيفية التريضتين ليحييها. فبدت كل عتريات الغرفة صغيرة أمامه، وكان أسمر بحيث افترضت سمائنا أنه قضى عطلته في إيطاليا وهو يستحم تحت أشعة الشمس. ووجدت فيه جاذبية بالغة بحيث وجدت نفسها تجرّ حجاباً ثوباً مريباً واضحاً بوضوحها في موقف حرج. وخاطبها باتريك متأملاً حسنها:

«مزعجاً. كيف خالذك اليوم؟»

عشت سمائنا بلزازاً مطلقاً:

«أني على ما يرام. أشكرك»

فتصحبها فينسأ:

«إخلمي معطفك لأن الجو هنا دافئ. كما تشعرين. ولن أتحقق بحيث

أجبرك على التفرار»

أطلقت سمائنا قنبلة حارة بينما خلعت معطفها وقدمته إلى باتريك

ليعلقه على أحد المقاعد. فقال:

«هذا الفضل. تفضل بالجلوس. هل ترغبين بسيكارة؟ أن السيدة

تستترتون منفضراً لنا القهوة عما قريب»

«شكراً لك»

وتناولت سمائنا سيكارة قبل أن تفكر بما تفعل ثم تطلعت إليه لترى إذا

كان يتوقع أية ردة فعل منها. فابتسم لها ابتسامة الحافظة فيما نهبت سمائنا وأخذت حبة طويلة من سيكارتها.

وجلس باتريك هذه المرة على كرسي مقابل لكرسيها بحيث ركز عنيته

عليها بشكل دائم. ولا حظت أن له أطول أهداب وأنها في رجل. وحين

كان يغطي عينيته بأهدابه، كانت على يقين أنه يأملمها دون معرفتها.

وازعجها وجوهه إلى حد أنه تود أن تقر به. وبدأت معدتها تنقبض تعبيراً عن

الحرق الذي شعرت به لقد بدأت تحبه كثيراً وكثيراً جداً بحيث أصبحت

كلمة «حبه» خالية من المعنى عندما تستعمل بوصف شعورها تجاه رجل

مثل باتريك. وتنبئت أن المرأة لا يمكن ألا أن تحب أو تكره رجلاً مثله. وقد

كانت برياراً في الليلة الماضية ذليلاً ساعطاً على ضجة هذا الثرائى. لقد

كرهته لما أظهره تحوها من عدم اكترات ولا مبالاة. وفي هذا الصباح

شعرت سمائنا أنها تكرهه، خصوصاً عندما تلتفت منه غائرة هاتفة أجبرها

فيها على جعل ما لا تريد.

أما الآن، فتبدل شعورها تجاهه بعد أن ركز عليها اهتمامه. وأدركت أن

مقدوره أن يقن جميع النساء، وأنها على الأرجح لن تستطيع مقاومته أكثر

من غيرها. وازعجها هذا الشعور كثيراً إذ عرفت أنه إنما أغراها بدعوته

إياها إلى منزله، وأن حظ أمها في إثارته أكبر بكثير من حظها هي.

وخيل لها أنه يمزأ بها ويداعبها. فتحركت واضطربت قائلة:

«ألا يمكننا أن ننتهي من هذه القصة؟ أنا وإلقة أنك تنوق إلى أزعاجي

ومضايقتي»

فأنا ما أصرأ:

« وأذا تصورين ذلك؟ حزيني سمائنا، لقد كنا أصدقاء ونحن في الطائرة، أو هكذا ظننت. وكيف كان يصلي لي إن أعرف أنك ابنة المرأة التي... »

« وصحت فيما استجسته إن يستطرد:

« واستمر في حديثك. المرأة التي... »

ابنم باتريك بحيا:

« مستحدث من هذا الأمر فيما بعد. ولكن، أود أن أعرف لماذا تشيع برناردا تلك كنت تعيش في إيطاليا بصفة مربية، بينما الحقيقة هي أنك عشت مع والدك؟ وهناك أمر آخر، إذا كان جون كنتزني هو والدك، فعماذا تقول برناردا أنه توفي منذ سنوات؟ »

مرت سمائنا لسانها فوق شفهي الخافتين:

« حقيقة الأمر هي أن والدي طلق والذي برناردا لا تريد أي دعابة مضادة تنشأ من هذا. تصورا ماذا يحدث لو اكتشف امر طلاقها وأنه اعيش مع والذي كل هذه السنوات... »

اطلق باتريك سحابة دخان كثيفة من سيكرته ببطء واجاب:

« اجل، الآن، هذا هو سبب الخداع... »

« افترض ذلك... »

فنهجم وجه باتريك:

« ولكن، هذا يترك سؤالاً يتعلق بأمر آخر قلته... »

لكرت سمائنا محاولة استرجاع ما جرى بينها. وسألته بحياء:

« أي أمر؟ »

« لقد قلت على ما أذكر أنك لم تزوري انكلترا منذ كنت في الرابعة من

عمرك. كي اخضت ان والدك فضل ألا تفعل ذلك. وإمكان ان افهم

سبب تفصيلي والدك لبلد غريب على وطنه الاصيل بعد تجربته المؤلمة هنا.

ولكن ما يجزيني هو، هل رأيت برناردا كثيراً خلال السنوات الماضية؟ من المؤكد ان هذا لم يتكرر كثيراً نتيجة مشاغلبها العديدة... »

اجابت سمائنا وهي تتعق الا تضطر للكذب عليه:

« كلا، ليس كثيراً... »

فانقسم متفكراً.

« أما برناردا، فمعاملتك وكذلك الأمانة الصالحة منذ زمن بعيد، يا الهي، يا هاسن مثلك وأربعة! ولا أعجب ان هي لم تذهب في الاعتراف بالحقيقة. وفي انصور ان مارتن برايمور سيجعل قضيتك من قصتها... »

استمعت عينا سمائنا:

« مارتن برايمور، هل تعرفه؟ »

« ولا حفظ باتريك بيجفاء:

« الجميع يعرفون مارتن برايمور، من اجل خطاياهم على الاقل... »

« فهمت، لقد اتصل بي ذات يوم وأخبرني أنني في إيطاليا... »

« هل فعل؟ ربما كان ما فعله من قبل القصور... »

فسالته متبهة:

« انه أمر لا يبعثنا الآن، اليس كذلك؟ فانت الآن تعرف الحقيقة،

وسرعان ما سيعرف الجميع... »

عندئذ ارتسم العيون على ملائح باتريك:

« صحيح ومن سيخبرهم؟ »

احمرت سمائنا خجلاً:

« الحقيقة اني ظننت... »

ورفع باتريك حاجبيه الاسوددين:

« هل فكرت؟ اذن، فان تفكيرك خاطيء. لاني لا أزمع ان اخضح برناردا

مام العالم. وإذا فعل؟ فهذا ليس امراً يعني في أي حال. إن هي قررت

بقدر امر زواجها سرّاً، فأنا لا أكره الامر... »

حدثت فيه سمائنا وقد شعرت بالارتياح يقمرها:

« ولكن... ظننت عندما دعوتني إلى هنا صباح اليوم... »

« اني سأستل بازمائك وعذابك. اعلم ما نقصصين. حسناً، لم يكن

هذا مقصدي. أنا كاتب يا سمائنا وأنتا يهمني وشيرون في القصور.

انني رغبتي في معرفة السبب الكامن وراء هذه الحيلة التي لم تقابلي، فأنا

أحد شخصية برناردا هاريت شفاقة وواضحة منها ظننت عكس ذلك. وفي

أي حال، فاني اذكر انما استقبلتي في المطار في نفس اليوم والساعة التي

وصلت فيها أنت. وهذا شيء آخر وكشفته حقيقتها... »

وسأله فجاءه :

« قل لي ، لماذا لم تعرف بانك الحقيقي من قل في الليلة الماضية ؟ »
ضحك باتريك ضحكة رقيقة :

« يا أخي . لو اني فعلت ، لتحولت حياتك جميعاً على الارض ،
خصوصاً في هذه الظروف . ويجعل اني يربوا ليست مسرورة منك بعد ما
نقبت من اهتمام كبير في الليلة الماضية . اذ يفترض في تلك السادسة عشرة
ان يتعدى عن واجهة الاحداث ، واظن انك في السادسة عشرة فعلاً ، ثم
ترى هذه مغالطة اخري ؟ »

ترددت سماتاً اذ سهل عليها الاعتراف بغيرها الحقيقي ، بعد ان
تأكدت انه لن يجر اعداء ، الا ان هذا الاعتراف سيزيد من عمر برناردا
يشكل كبير . ومع انها لم تكن لسامانثا شيئاً كام ، الا ان الابنة لم ترغب
بخيابة والدتها على هذا النحو الواضح ، لا تكن مشاعروها . وقالت بتعجل :

« انها ليست مغالطة »

وهذه فرغت السيدة تشترتون الباب ، ودخلت حاملة القهوة والكعك
على صينية وضعتها فوق مكتب باتريك . ولما غادرت الحجرة ، قال
باتريك : « هلا تفضلت بصب القهوة ، ام افعل اني ؟ »
فانتصبت سماتاً واقفة وقد سرها التحول عن الموضوع قليلاً ، فبدأ
قالت وهي تشغل نفسها بأمور القهوة :

« سأفعل ذلك »

وبعد ان صبت له قهوه ، ملأت فنجانها و اضافت اليه بعض السكر
والقشدة . ثم جلست وقد فلكها بعض الاضطراب . وخاطبها باتريك
مبتسماً ابتسامته المألوفة : « بعد ان انتهينا من صب القهوة ، دعينا نتحدث
عن شيء آخر »

« مثل ماذا ؟ »

« حسناً ، دعيني افكر ، هل اعجبتك الكثرة ؟ وعلى ولولك أندروز
بعض القبة والسلاوي مساء الامس ؟ »

« آه ، بالطبع »

وبرزت الحماسة على وجه سماتنا بينما استمرت :
« ولقد خفي ايضاً ، انه رائع ، اليس كذلك ؟ »

رد باتريك :

« انه يبدو كذلك اذا كنت تحبين هذا النمط من النشاطات »
« اعتقد انك تفضل برامج ترفيهية على مستوى اكثر تعقيداً وقدماء »

« قلتم السرور في عميا باتريك :

« حسناً ... اني اكبر سناً من أندروز كما تعلمين . هل شاهدت عرض
باله ؟ »

« كلا . لقد ذهبت برفقة جدتي منذ بضعة ايام لحضور مسرحية »

« يعني ان تحضري عرض باله »

« قواقفه وقد اضافت بشيء من السنداجة :

« اجل . اني احب ذلك ، كما احب حضور احدي مسرحياتك »

فبدأ السرور بشكل واضح على وجه باتريك :

« هل تحبين ذلك فعلاً ؟ حسناً ، انصرو ان احدي مسرحياتي لن تعرض
قبل كانون الاول (يناير) . المسرحية الجديدة منفتح في الطرف الغربي من
لندن في مسرح غروسيفورد ، وستقوم تمك بدور البطولة . واحسب انك
ستحضرين العرض في ليلة الاولى ، هذا اذا لم تكوني قد مت من الركود
والثلل في دافن »

« آه ! تعرض احدي مسرحياتك في لندن الآن ؟ »

« الحقيقة كلا . فالمسرحية الاخيرة توقفت عن العرض قبل سنة

اسابيع ، وهي الآن تحول المناطق والاقاليم المختلفة »

« وحاش لك سماتاً لانها كانت تتطلع الى مشاهدة مسرحية من تأليفه .

اما هو ، فعلى بجفاء :

« عليك بضبط فضولك . اخبرني شيئاً عن حياتك في ايطاليا ، فانا

ارغب ان اعرف ماذا فعلت هناك »

فقطعت اليه وقد راودها شيء من الشك :

« هل ترغب فعلاً ؟ الحقيقة انها كانت حياة بسيطة . فقد عشنا في احدي

القبيلات وكان والدي يعمل فيها كنت امضي وقتي تساعد في كتابة رسائله

او اغاون ما تبذل في عمل البيت . ولا أتوقع ان يكون هناك شيء يثير

اهتمامك »

فهمس متكاسلاً :

« لا اوافقك على ما قلته . فوالذي تعيش في ايطاليا في ليلا بالقرب من بحيرة كومو . وقد اعطيت الشهر الماضي كله معها . ألم تشاقي الى المناخ ؟ »

« اعتقد ذلك رغم اني منذ وصولي كنت مشغولة . . . بأمور أخرى . »
« لعل بعض السخريه ، على حد ما ظنت :

« يمكنني ان اصديق ما قلته . ولكن ، متى تذهبن الى دافن ؟ »

« لست اقري . اقل خلال اسبوع ، فبحدي لا تطيق صخب لندن وضجيجها . وهي تفضل عدوه دافن . »

« حسناً من المؤكد ان بايكتاك الإقامة هنا مع امك بعض الوقت ، إذ ان شقتها واسعة كثيرة . »

« لا اعتقد ان بريارا . . . القصد . . . »

« صممت سمائنا وقد احسبت بجزءها ، فيما تولى جز الكلام عنها . »

« ربما لا توافق . ولكن يجب ان تأكد انك تستمعين بما تبقى لك من وقت في لندن ، اليس كذلك ؟ »

« ذهبت سمائنا ، ومائته . »

« من قصد به « نحن » ؟ »

« اقص انا وبريارا . »

« تركت سمائنا الحرة لقلبها بان يخلق بخون ، إذ كان يصعب ان تصور انها تقضي السهرة مع باتريك مالوري . من المؤكد انه ليس جاداً . وحتى لو كان بريارا لن تسمح بحدوث هذا . وهنا سألفا متهمكنا . »

« ألا يعبجك ان تخبرني معي ؟ »

« وقيقت انه ادرك وقتها بمرافقة . فضالت . »

« حسناً . اعتقد ذلك . على اني لا اتصور ان لمي ستوافق . »

« حتى ولو دعوتها ايضاً ؟ »

« خفت خبريات قلب سمائنا ، إذ لم ترق لها الفكرة ايضاً . فحجرت التفكير بمشاركتها لها وباتريك مالوري سهرتها ، يجعلها ترى نفسها في دور الدخيل والمفضل الدائم . فيها بكبرائها سناً ، كما ان تصرفها كاتبة مست عشرة سنة سيكون اسوأ مما لو كانت قد اعترفت بعمرها الحقيقي . فسكرة على شرب الليموناضة او الكوكاكولا . ولن يمكنها ان تدخن ! ولما علق

باتريك :

« بإمكان ان اتصور ان الفكرة لا تروق لك . »

« فطنت انه شخص ملاعبها للعبرة وقراً افكارها . وسميت ببلدوه :

« لا اتصور ان يا منكيا سيتر بطفل عليكها . والى ذلك ، لما أندرو

وعد ان يتصل بي اليوم . »

« اعلم ذلك . فلقد اتصل بي قبل وصولك وبرزت عليه معالم الازعاج

للذرة الاولى . لكنني انصصت بالاناشيد القرائه بحمل الجدة . فهو معروف بقله الملامه . »

« ووقفت سمائنا لتضع فنجان قهوتها على الطاولة . قالت وقد اختلق صوتها : اشكرتك على القهوة يا سيد مالوري ، وكذلك تهتمك . لكن ، يجب ان اذهب . »

« فابتسم لها ، ووقف بجانبها . وكان قريباً منها بحيث استطاعت اشتياق رائحة رجولته المسترخية برائحة محجون الخلطة الذي يستقبله

والشبع الجيد الذي يدعته . وانزعتها قريه منها ، فاحست الحفنان المجنون في قلبها ثانية . لماذا يؤثر عليها بهذه الطريقة ؟ وقال لها بخن :

« لا تذهبي وانت غاضبة مني يا سمائنا . »

« فاجابته باضطراب :

« لا استطيع ان افهمك . واحسبك تسخر مني . »

« انظر ثغره عن ابتسامة اشد حذية من اي ابتسامة رأينا إذ تخلت من المكر والسخرية ، وعبرت عن الدفء والحنان والفهم . الا انها اتعدت عنه بسرعة . »

« علي . . . علي ان اذهب . فوداعاً يا سيد مالوري . »

« فصاح قولها بركة :

« الى اللقاء . »

« وانطلق بسرعة ليصح لها الباب . فتقدمت الى القاعة . »

« قاد باتريك مالوري سوارته الى موقف منزول حادي في متلة تشلسي

حيث يقيم ابن شقيقته أندرو مع كين ما يدسون في شقة مشتركة . وكان الموقف صغيراً ، فاضطر الى المناورة بسيارته بحيث يدور حول اندروين

المركزي الذي يقوم وسطه شجرة حوز ظليلة . »

دقة. في أي حال، حيا. فاني جاد في طلب القهوة.

نفس أندرو من سريره وقد علت وجهه تعابير الإزعاج. ولما لم يكن يرتدي سوى بغطال البيجامة، فإنه قد يده ليشاول ثوباً فضفاضاً سميكاً كان ملقى عند طرف السرير.

وعاد باتريك ادراجه الى ودعة الاستقبال. وانطلق من هناك الى المطبخ الصغير، فعلاً ايريق القهوة الكهربائية. ولما عاد الى اليهو كان أندرو قد وصل اليها وبدأ يبحث عن السكاكر.

فقدّم باتريك له عليه. ثم ارغى على احد المقاعد. وسأله أندرو فيها أخذ حبة طويلة من سيكارتة:

«وما الذي يزججك في هذا الوقت المبكر من الصباح؟»

«ليس هناك ما يزججني. أريد ان اتحدث الى سمانتا كينغزلي.»

نظر اليه أندرو مستغرباً. ومرر يده على شعره الأشعث قائلاً:

«سمانتا! لم أرها منذ الليلة التي أقامت بربارا فيها حفلة الكوكتيل، أي منذ أربعة أيام تقريباً.»

«أعلم هذا.»

«اذن، ماذا تقصد بقولك؟»

«هل حاولت رؤيتها؟»

«طبعاً. هل أنت مزحج؟ انها فتاة لطيفة اعجبني كثيراً.»

«حسيت ذلك. ولكنني أعني على رأيها منذ ذلك الوقت؟»

«وازداد عوس باتريك وتجهجه فيها أجابه أندرو:

«كلا. اما انت، فلا شك انك رأيت بربارا. اليس كذلك؟»

«نعم باتريك طرّف سيكارتة المشتعل وهو يقول:

«الحقيقة اني رأيته. لكنني لم اخرج معها اذا كنت تقصد ذلك.»

برزت الحيرة على وجه أندرو إذ لم يستطع ان يفهم سبب اهتمام باتريك بنفاته لا يزيد عمرها على ستة عشر عاماً. صحيح انها ابنة بربارا هاربيت، الا ان أندرو اقتنع مؤخراً ان باتريك لم يعد يكثر بربارا، ولم يحاول مقابلتها قبل اجازته. كما ان مطاودتها له اصبحت أمراً مفضوحاً في اوساطهم. ومعروف ان باتريك لا يحب ان يشارف، بل يرغب ان يقوم بعملية المطاودة بنفسه. لذلك تحفّض معظم النساء معه. ولما رأى باتريك

وكانت الشفق انفتحة على الموقف المنزّل ثغينة بالرغم من صغرهما. وقد شغل معظمها افراء من اهل الشرح ثم احد الرباعين واقف باتريك السيارة، ثم ترجل منها فلفح اخواه البارد وجهه الاسمر. وابتعد عن السيارة هائلاً الساحة، وتساوى السلم الخارجي المفضي الى شقة أندرو. كان يملك مفتاحاً لشقة أندرو. ففتح الباب الذي يؤدي الى ودعة الاستقبال دون رسميات. وكانت الودعة خالية إذ لم تتجاوز الساعة العاشرة صباحاً.

ووضع المفتاح في جيبه. ثم اغلق الباب وعبّر الودعة بأفهمه باب غرفة النوم وفتحها. نظر الى الداخل حيث تظاهر أندرو بكدسة من البطانيات. ويشدوا انه لم يسمع أي حركة. فابتسم باتريك، واتجه الى سرير أندرو. ثم انحنى فوق الشاب قتلاً بصوت جاك:

«صباح طير يا أندرو.»

وسمع صيحة مكتومة تحت الاغطية وبرز منها رأس أندرو صائحاً. «يا الهي! هل تريد ان تصيبي بخرقة قلبية لجرد حضورك هنا عند منتصف الليل؟»

فانقضت قامة باتريك:

«أود ان أعلمك ان الساعة الآن هي العاشرة صباحاً. وان الوقت قد حان لبدء نشاطك. فالصباح جميل ومنعش.»

فنفصر أندرو وهو يجلس في السرير:

«ومنى كنت تعرف حال الطقس في مثل هذه الساعة من الصباح؟»

أجابه باتريك بسرعة:

«منذ اليوم. حيا، فانا أريد بمض القهوة ولا أريد ان اصبحها نفسي.»

«اذن، لماذا لا ترتق كين؟ من المؤكد انه سيبر بصحبك اكثر مني في هذا الوقت.»

فقدّم باتريك يدها ليجل اضرار منطقة:

«ما هذا الاستقبال المصاحب المزعج؟ متى أويت الى فراشك في الليلة الماضية؟»

صحيح أندرو قول غياله متنبهاً:

«هذا الصباح. أويت الى الفراش عند الرابعة. وبحضرتنا حفلة...»

القلق على وجه الشاب، انتمس له فجأة؛
 «جسدياً أندرو. لا تضطرب. لن أقع في مرمى مراقبه إذا كان هذا ما
 تخافه. على أقي مهمتهم سمائنا بالرغم من ذلك»
 رسمع أندرو عندك صوت فريق القهقهة الكهربياني. فذهب إلى المطبخ
 لإحضار القهوة. ولما عاد بالصينية، بعده باتريك بالقول:
 «والفتيت سمائنا في الطائرة ونحن في طريقنا إلى لندن»
 فاستعيت عينا أندرو:
 «من ميلانو؟»
 «أجل»
 «لأن أنا متأكد لم يعرف هذه الحقيقة في الحفلة. عندما أفكر بالأمر
 أذكر أن لديها متقمع عنه وصولك. وحينذاك تسامحت عن السب»
 «هل باتريك كفي»
 «كانت هناك أسباب لتفضيلنا القهقهة بظهور الغريب، لا أزمع أن أتأولها
 هنا»
 «ولكن، لماذا؟»
 «هز أندرو رأسه فربما ناول باتريك قوباً كبيراً من المسائل الخار. وقطب
 باتريك بجيبه إذ أجاب»
 «إنه شأن خاص بك كما قلت. صدقتي أن ليس هناك شيء لأفكر خطير»
 «سبب حضورتي إليك هو رغبتني في أن تؤدي لي غمراً»
 «صبر الخمر على أندرو فيما جلس متمولاً على أحد المقاعد المتخفية»
 «ذلك مفاجئ. فقد قلت أنك ذرتي بدافع من محبتك»
 «فقط أريد باتريك ضاحكاً ومما»
 «ولما حدث عندما حاولت أن ترق سمائنا لانية»
 «جسدياً، اتصلت بها عتفياً، وأجبتني أمها قائلة أن سمائك تشع ببعض
 التوكل للغير الخاضع، في المناخ وقد أصبحت بحس»
 «حقى كان ذلك؟»
 «في اليوم الذي تلا الحفلة طبعاً»
 «فرق باتريك في التفكير. ثم طرح سؤالاً آخر»
 «وعل اتصلت بها منذ ذلك الوقت؟»

وأجل، البارحة. فقد أرادت أن ترافقني إلى حفلة الأمن. إلا أن
 اللايدي دافنبورت ردت علي هذه المرة وأجبرتني أيتها مشغولتان بالاعادة
 للذهاب إلى مسكن دافن خلال يوم أو يومين، وأن سمائنا مرتبطة بمواعيد
 ما لا يسمح لها بزي بي»
 «فالتصبت باتريك واقفاً لأنه عندما التقى بربارا البارحة صدفة في أحد
 المطاعم التي يرتادها يدت شديدة العاطفة والحب لسمائنا. واعتلوت عن
 عدم تذكرها من لقائه لأن وجود سمائنا أجبرها أن تكون أما طوال الوقت»
 «على أنها تجاهلت كذا حقيقة أن باتريك لم يسع أبداً إلى لقاءها. ومع أنه لم
 ينزعج من خداع بربارا نفسها، فإنه انزعج من الدور المتد إلى سمائنا في
 هذه اللعبة»
 «كان يريد أن يرى سمائنا بنفسه ويطلع عليها بعض الأسئلة. فغير أنه لم
 يكن يعرف طريقة تمكنه من تحقيق حبه دون حضور بربارا أو مخالفتها مع
 مثل هذا اللقاء. لقد تصرف بغيا حين كشف حقيقة مشاعره في ليلة
 الحفلة. فلو تصرف مثل عاشق مطيع، لما حدث شيء من كل ذلك. لكنه
 فوجئ، مفاجأة تامة حين رأى الفتاة التي شد إليها بصورة غريبة في الطائرة»
 «واضطرب كبته. واعتبر أن قضاء بقية المسيرة مع بربارا لئمة نحل عليه»
 «وفي أي حال، كان عليه أن يأخذ وقته في التفكير، خصوصاً بعد أن أبلغ في
 ليلة الحفلة أن عمر الفتاة لا يزيد على ست عشرة سنة»
 «وبدا له أن ليست أمامه أي فرصة للتراجع. لذلك يأمل أن يكون
 بمقدور أندرو الاتصال بسمائنا، فمن الواضح أن أمها تزمع البعاد ابنتها
 عنهم، وأن هي أرسلتها إلى دافن ليستحيل على أي منهم الاتصال بها»
 «لأن دافن قرية بعيدة. وإن ذلك، فلي حجة يتدفع لطلبه مقابلة سمائنا؟»
 «عندئذ أدار باتريك ظهره لأبن شقيقته وخاطبها»
 «واسمعي. اتصلت بي أنك هذا الصباح لتقول أنهم يقيمون حفلة شواء
 الليلة»
 «أعلم ذلك لأنني التقيت بوالدي في المدينة هناك الأسس. ولكن،
 لماذا؟»
 «على متحضر الحفلة؟»
 «هز أندرو كتفيه»

والحب ان اربب اعيناي بكرة في الصباح. والان، سأذهب ويصبح
بإمكانك العودة الى رفاقك. وسأفصل بك لاحقاً لاطلاعتك على الترتيبات
النهائية.

فقال أندرو بحفاوة:

وأرجو ان تفعل ذلك.

وأخى باتريك قهقهة، ثم غادر المنزل.

وعاد باتريك الى منزله فدخل المبنى فبدأت السيدة تشستر تون من
المطبخ لتبادله قائلة:

هناك زائرة تنتظرك يا سيد مالوري.

وفكر باتريك للحظة اذا كان من الممكن ان تزوره سمانتا. الا ان آماله
خابت:

والآنسة هاريت تنتظرك منذ نصف ساعة تقريباً.

وحسناً يا سيدي تشستر تون. سوف أراها.

وتولت مديرة المنزل معطفه فيما قالت:

والحقيقة يا سيدي اني ادخلتها الى غرفة الجلوس الصباحية.
«عظيم».

واصلى باتريك ربطة عنقه قبل ان يطلق نحو باب الردهة.

ولما دخل القاعة وجد بريارا تتأمل صفحة إحدى المجلات بعصبية.

ورمت بنظرة متعجبة عند دخوله، بينما انتصبت متسائلة:

«حيي». لقد انتظرتك زمناً طويلاً. فأين كنت؟

وعبرت الحجرة بالجماعة، فيما أجابها وهو يمسر يبطء نحو النافذة:

«كنت في زيارة لأندرو. وانني أعتقد ان جعلتك تنتظريني كل هذا

الوقت. كان من الأفضل ان اتصل بي لتتأكدي من وجودي هناك.

فأجابته بريارا ولم تظهر عليها علامات التأثير من برودته الظاهرة:

«أعلم ذلك يا حيي. الا اني رغبت في مشاهدتك. ومن الطبيعي ان

لا أتصورك تخرج من البيت قبل العاشرة، اذ ليس من عادتك ان تفعل
ذلك».

ابسم انبساطه اللطيفة وقال:

«سأحيي انتصابي وسرعني. فأنا مشغول بالسرحة الجديدة يا بريارا.

ولم تكن أنوي ذلك. الا اني اعتقد ان لديك شيئاً وجيهاً لتطلب اني ان
أذهب».

داني اتساءل اذا كانت بريارا توافق على حضور هذه الحفلة. فان هي
فعلت، سأدعها هي وسمانتا موصحاً انك ستذهب برفقة سمانتا.

وهل تعتقد ان بريارا متوافقة على الأمر؟

مز باتريك كتفيه:

«أتصور ان يوجعي التأثير على بريارا...».

وهذا ليس خبراً جديداً.

دواذا دعوتها للذهاب، فاني أشك انها سترفض.

وبكل تأكيد.

وإذا دعوت سمانتا للذهاب، فان خطي ربما تتجح.

عند أندرو:

ولا أنهم شيئاً. على اني افهم انك تريد رؤية سمانتا.

وأجل.

ولكن، لماذا؟

مز باتريك كتفيه العريضتين:

«دعني تحبها حقاً».

وكلا، انه شعور طبيعي. فهي فتاة لطيفة ولا أريد ابدانها. وأنا لست
وحشاً كما تعلم. ومن يشري؟ ربما تحولت علاقتنا الى شيء جنسي.

فأجاب باتريك غامضاً:

«اني أشك في ذلك. و... وربما لوحيث يشي» آخر لصمته.

ولكنك... قصد انها لا تتجاوز السادسة عشرة...».

وعلمت وجه باتريك تعابير مبهمة:

«دعني كنتك؟ سوف نرى. في أي حال، عل فكتني الاعتقاد
عليك؟»

وبالطبع تكس، كان بإمكانك ان تتصل بي هاتفياً وتطلعي على كل ذلك

في وقت أكثر ملائمة.

ابسم باتريك ساخراً وهو يعقب:

ولا اجدي اختلي بنفسى كثيرا.

استأثرت بربارا تشباً على الفوز ومضت بخنان:

وآه، أرجو المعذرة لوقاسي في زيارتك دون دعوة.

فرد باتريك بعذوبة:

وهراء، انى لا اعمل هذا الصباح. ولكن، هل ترلين الآن ببعض

القهوة؟

والحقيقة انى رفضت القهوة التي قدمها في السيدة تشسرتون. على انى

ارغب ببعضها الآن.

اتجه باتريك صوب الباب حيث أصدر تعليماته الى مديرة المنزل. ثم

عاد الى بربارا وتناول سيكارة. وسألا دون مقدمات:

واخبرني، لماذا تمت سمانثا من الخروج مع أندرو؟

فرجعت بربارا، الا انها استجمعت أفكارها قبل اشعلت طرف سيكارها

بزلعته. وقالت منهلة:

وحسناً! الحقيقة انى لم امنحها من الخروج مع أندرو.

والم تفعل؟ اقصيني انك قلت له بان سمانثا مرضت بعد قدومها الى

انكلترا. هل انك لم تدكري شيئاً من ذلك عندما تحدثنا عنها ليلة الأسبوع.

وكلا... حسناً... الحقيقة ان الأمر لم يمتد كونه زكاًماً بسيطاً. وقد

فلقت عليها كثيراً. وهذا كل ما في الأمر.

ولكن، فانت لا تعترضين على ان تكون صديقة أندرو، اليس

كذلك؟

عصت بربارا على شفتها:

وكلا... ولماذا اترضين؟

انظر ثغر باتريك عن ابتسامة غائرة مائلة بالسخرية:

«ماذا تفعلين؟ السبب في طرحي لكل هذه الأسئلة هو ان شفتي

اتصلت لي لتعلمي انى تقيم وزوجها حفلة شراء اللبلة. وقد ربحها اليه

الدعوة، انما وانت وأيامو طبعاً. وأظن ان سمانثا ترغب في ان تكون رفيقة

أندرو.

بدت الحيرة على بربارا، ولما الاختيار بين رغبة الطليعة في مرافقة

باتريك، وتوجيه الدعوة الى ابنتها. كان واضحاً ان فكرة دعاب سمانثا

منفها لا تعجبها وتصور باتريك انه يعرف السبب. الا انها قالت ببطء:

وأخيراً... أظن ان على عذارة سمانثا في الأمر. فلربما كانت لديها

خطتها الخاصة. ومعروف انى مشغلة مع أمي انى ذاقن صباح عده.

أخذ باتريك حجة سريعة من سيكارته، وانما به الحيرة ايضا لم يفهم

سبب رغبته في حاية سمانثا. فمضت الضاحة في الطائرة وهو يشعر بحس ولبته

عنها. كما ان معرفته الطويلة بربارا تؤكد له ان قبولها سمانثا على انما ابتها

محقوق بالشكوك، ولا يد ان هناك شيئاً. ولان يرتاح قبل ان يعرف ذلك

السبب. هل يمكن ان تكون لجون كنغزلي أى علاقة بالأمر؟

وأدرك انما تريد ابعاد سمانثا عنه لسبب شخصي فمن غير المعقول ان

تغار بربارا من احده حتى من سمانثا الفتاة الجميلة. انما امرأة غنية

وبامكانها ارجاع سمانثا الى إيطاليا، او ارسالها الى أي مكان آخر بحيث لا

تدخل في مجرى حياتها الشخصية. وكلما فكر بالأمر، كلما ازداد اهتماماً

وقلقاً.

ومعروف ان بربارا خادة الطبع، ولا يمكن ان تكون تصرفاتها عندما

تغضب. لذلك، اذا ضايق سمانثا والدتها بشكل من الأشكال، فقد

تحصل مضاعفات خطيرة. عذلة قال بيروية:

«اتصلي بها هاتفياً، لو هل اتصل أنا؟»

ونفت بربارا مرة اخرى بعد ان كانت قد جلست على أريكة منخفضة.

الا ان كلماته دفعها سريعاً الى الهاتف. وقالت:

«استصلي بها أنا، ولكنى أتوقع ان تكون في الخارج، لأنها متزافق

والذي لشراء بعض الملابس».

ورفعت بربارا الساعة دون ان تنظر اليه ثانية. وتوجه باتريك الى

الحائط فيما ادارت القرص، كان عازماً ألا يسمح لها بالأدعاء بان سمانثا

غائبة حتى ولو كانت في المنزل.

وتحدث ان زدك سمانثا على الحائط بنفسها، وبما سمعت صوت امها

قالت:

«هذه سمانثا. هل تريدان التحدث الى جدي؟»

بللت بربارا شفتها بلسانها وقالت:

وكلا. أنا عند باتريك الآن يا سمانثا. وقد طلب انى ان امالك اذا

كنت أرغب في حضور حفلة الشواء الليلة في منزل شقيقته. انما نقيم عند شاطئ البحر، وأتدبر برغب في أن تكوني رفيقته.
شبهت سمائنا. ومع أن وجود والدنا مع باتريك مالوري خفف من معادها بالدعوة، أدركت انما ستذهب الى أي مكان يوجد فيه باتريك، وقالت بلهجة رسمية:

«شكرك. يسرني أن أقبل الدعوة». «أذن، فأنت لم تقرري أي شيء مع جديتك؟» فكرت سمائنا لحظة. ثم أجابت: «آه، كلا. قالت جلي أنها ستنام باكراً حتى لا تتعبها الرحلة غداه». «فهمت. حسناً، سأنقل جوابك الى السيد مالوري». وبعد أن ردت بربرا السامعة الى مكانها، قال باتريك بجلاء:

«أظنها ترغب في الحضور». «وأجل. شكراً لك على دعوتها». وعادت بربرا الى مجلسها على الأريكة لتسأل باتريك:

«ما رأيك بابنتي؟» لم يكن السؤال بسيطاً كما يظهر، الا ان باتريك لم يتردد في الاجابة وذلك لأن تردده سيثير شكوك بربرا: «اعتقد انها فتاة جذابة. لكنها ليست في مستوى جلالك يا بربرا. مفسر جسمك يجذب الكثيرين اليك ويجعل وجود شبيه لك أمراً مستحيلاً. واحسبنا شبيه والدنا».

«أجل. انما كذلك. فليكون كان طويلاً ومثل الجسم ايضا».

«أجل». رمت بربرا بنظرة حادة وبسريعة، غير ان باتريك بدا مسترخياً ومزاحاً.

فعادت تنظر الى فتجان قهوتها بينما استأنف حديثه بشغف:

«اعبريني عن زوجك. ماذا كان يعمل؟»

«وضعت بربرا فتجانها على الضيعة ثم اجابت:

«الحقيقة انه كان استاذاً في إحدى المدارس المتدنية».

«فهمت».

ومد باتريك رجليه، واسترخى في مجلسه على احد المقاعد المنخفضة فيها

وجهه بربرا:

«دعنا نتحدث عن أنفسنا».

حالت من باتريك التفاتة نحوها، فرأى فيها امرأة شديدة الحسن، جذابة... وتساءل لماذا لم تعد تؤثر عليه كالسابق. كان يعرف منذ البداية انها امرأة انانية تسعى وراء الملذات. الا ان حياته حولت نخل من العيوب والاضطراب حتى يشد الكمال في الآخرين. وكان من المنع أن يصطحب بربرا لأنها لذيذة وبطيقة ممتازة... اما الآن، والآن فقط، فإنه كلما اقترب منها رأى وجه سمائنا مبنياً امام عينيها، ووجد نفسه يميني لو كانت سمائنا هي التي تغارته، لا لأنها اعربت عن مثل هذه الرغبة، بل لأنها تفضل أندرو عليه. وهنا وقفت بربرا وهي تكتفح اليه بفضول. ثم حملت حقيبتها قائلة:

«مضى نطلق؟»

«دعيني أفكر. هل يناسبك ان نطلق عند السادسة؟ فالطريق طويل الى ساندويش».

فالتفت اليه بفسوة:

«وأجل. هذا رائع. ولعلنا نجد وقتاً أكثر ملاءمة في هذه العشي».

وتكلم باتريك الانشام بينما فتح لها الباب لتخرج. ومنس ومذوبة:

«رجاء»

تستطيع اللون الأحمر كثيراً. غير أن رغبة جامعة في التعبير اعترضها الليلة، خصوصاً وأنها لم تطلق البقاء فترة الطول في لندن. وفكرت أن تجعل سهرتها الأخيرة ليلة جبهة بالذبح.

وعندما دخلت سمانتا إلى غرفة جدتها لتودعها، بدت السيدة العجوز متعبة ومضعة اللون وقد سقطت في فراشها. وحانفت لحفاً حديدياً: «أناك تدين صغرة السن حقاً يا عزيزي. ومن المؤكد أن لا مجال أمام بربرا للتأخر الليلة».

«نستمت سمانتا إنساناً طيبة».

«أجل ذلك. آه يا جدي! ماذا يمكنني أن أفعل بدمونك؟ أناك لجمعين الأمور الطبيعية وسهلة».

«جانبها اللايدي دافنبورت ثقفة».

«لا شك أنك ستجعين لأن الذكاء والفتنة لا يتفصلان. وجميع الذين حاولوا، واستحوذت في فرصة مقابلتهم، يؤكدون أنك مريحة، كما هي أنك لم تواجهي الصعوبات».

«لذلك فهمت سمانتا».

«أحسب أن عليك حذف بربرا من القائمة. في أي حال يا جيني، يجب أن أذهب الآن لأن الساعة تجاوزت السادسة».

«حسناً يا عزيزي. انني لك سهرة موفقة. وأرجو ألا تسمعني لأبني أن تضعمك».

انجست سمانتا، وقيلت وجنة جدتها. ثم انسجبت من الحجرة بهدوء قاتلة:

«وسأفعل ذلك».

وارتدت معطفها، ثم أخذت تأمل وجهها في المرآة. حيث فتح الباب. فاستدارت مذهولة لتلطي وجهاً لوجه بيارريك مألوري وكانت الريح قد غلبت بشعره، فشمته. أما عينها، فراقبت سمانتا بمرح وتكامل. أحست أن قلبها توقف برهة قبل أن يستأنف خفقانه المحموم فيها -ياها بيارريك: ومرحاً. هل أنت مستعدة؟».

«صغرت سمانتا يدعا على معدتها».

«أجل. هل حضرت بمفرده؟».

٥- سهرة على شاطئ النار

فلك الذبح سمانتا، وتضاربت مشاعرهما بين شوق للسهرة وخوف منها لأنها ليست على وفاق مع بربرا، وقضاء سهرة في صحبة بعضها عمة شاقة. لم تضي مع والدتها سوى ساعات قليلة منذ حفلة الكوكبيل للشذوذة، وافتتح معرض ازهار تقيمه جمعية نسائية في جنوب لندن، وتوجب على سمانتا حضور الحفلة إلى جانب أمها. كما ذهبت إلى عادية غذاء احتيتها جمعية مدرء المزارع، وزارا أمماً مستشفى في ضاحية تشدية. ولم ترافقها اللايدي دافنبورت طبعاً، مما جعل الوقت الذي قضته الزمان معاً عرجاً وعقلاً، خصوصاً وأن بربرا أخذت تبغض ابنها بصورة مضحكة. ومع أن سمانتا لم تفهم بهذا كثيراً، إلا أنها وجدت نفسها بذلك جهلاً كبيراً لأصلاص ذات البين. إلا أن جهودها... فصاحت سدي: «أدرت كلاليد» التي ترافق بربرا في جميع تنقلاتها، حقيقة الوضع. وطباعت اللايدي دافنبورت حفيدتها بكل طريقة ممكنة. ووجدت سمانتا عزاءها في الضكربانيا منتقل قريباً إلى داخل. كانت تسهر دائماً مع جدتها. في حين كانت والدتها تذهب لقضاء سهراتها في الخارج. وكثيراً ما تساءلت سمانتا عن برافق أمها في سهراتها الكثيرة... ولكن، لا يزال عليها أن ترافق بربرا في سهرة أخرى حيث يقتضيها الطرف. أن ترافق أمها وبيارريك مألوري يتصرفان تصرف العشاق. صحيح أن بيارريك ذهل وأغياظ في حفلة الكوكبيل، إلا أن شيئاً من ذلك لم يكن ليؤثر على اهتمامه المطلق ببربرا الآن. وارتدت سمانتا بطلاً لأمته سرة صوفية حمراء طويلة، رغم أنها لا

وأندرو ينظرون في السيارة. وبقي علينا أن نضطحب بريارا.
وحسناً. هل تنطلق؟

«طبعاً. فإنا هنا لهذا الغرض».

واكتسبي وجهها حمرة الخجل إذ سخر منها ثانية. عندئذ دنا باتريك منها كثيراً حتى أصبح على بعد سنتيمترات قليلة منها. وادركت خطره المضاعف في هذه الشقة وفي هذا الجو الحار عندما قال لها:
«هل حسيت أني كنت أشعل بعذائك؟»

فاسرعت بالابتعاد عنه فيها رفعت شعرها عن وجهها قائلة:

«لا يهمني ما تفعل يا سيد مالوري».

تفرس باتريك بها لحظة. ثم هز كتفيه هاتفاً:

«ولتطلق».

وطغت الرودة على صوته ثانية. لما سمعنا، التي تتكيف مع كل فارق في مشاعره، فغلت بردة أيضاً. فإذاً صدته بهذه الطريقة مع أنه لم يكن وقتاً؟ لم تكن كلماته أكثر من مزاح وبقى ينم عن الفسقة والحقان.

ولما انطلقا البحر المزمز. كلمته محسناً:

«أني آسف على وقاحتي».

لزمها بنظرة متضخمة ولم يقل شيئاً.

وتوقف التصعد في الطابق الأرضي. وأقلت سمعنا يدها من يد باتريك شبطنر ال خارج الفندق. حيث انتظرها سيارة فخمة تفتت حوها لتسال باتريك:

«هل غلبت سيارتك؟»

«أجل. هل أصيبت؟»

«أنا بديعة للغاية. أين تجلس؟»

عندئذ بلغا السيارة، فبرجل أندرو من المقعد الامامي التجهيز للسائق،

بينما سألها باتريك متبسهاً:

«أين تحبين أن تجلسي؟ بجانبتي؟»

«أفعل إن شئت».

ودبرت فتنة سمعنا، فاضطرب باتريك. وتلعثم. ثم قال آخر الامر:

«والأفضل أن تجلسي في المقعد الخلفي مع أندرو. فبريارا تتوقع أن

تجلس بفرني».

هزت سمعنا كضيقاً موافقة. إلا أنها سددت ال باتريك نظرة غريبة قبل

أن تجلس.

ولما وصلوا ال ساحة بلغرافيت، صعد باتريك لاضطحاب بريارا تاركاً

أندرو وسمعنا وخيذين في مؤخر السيارة. طوقها أندرو بترامه:

«أوضع مريح».

فابتسمت سمعنا ببعض التعب:

«هو كذلك. هل بطول غيابه؟»

«نساء. هل معرفتي ببريارا، يتغير على أن أجيبك. فمن المحتمل ألا

تكون بريارا قد استعدت للخروج بعد».

«لكن باتريك قال أننا سنطلق عند السادسة. وما أن الساعة قد

تجاوزت السادسة».

فحكك أندرو:

«أفهم أن أقمع أن يلتقي المرء بحسناء لا تتقن وسيلة تجعل بها الرجال

ينظرونها».

«ولكن، لماذا؟»

«دعيني أفكر... إن الرجل الذي ينتظر امرأة يفقد أعضائه الأربعة

غريباً شوقاً إليها».

فصرخت سمعنا بسخط:

«أناك تهازي».

«ليس بالضبط يا حبيبتي. على أني أعتقد أن باتريك ليستعمل بريارا

الليلة. فهو لا يبدو كلفأب كما تأن في السابق. لقد قضى تجارته في إيطاليا

لكني بعدد علاقته بالذلك التي لم تحف حقيقة مشاعرها نحوه. خصوصاً

واله لا يستعمل تحلاً قرار يتعلق بأمر مثل أمر الزواج».

«وضحك ثانية».

«في أي حاله. أن باتريك لم يلزم جانب العفة خلال هذه السنوات

الطويلة من عزوبيته. فقد عرف عنه طيشه في شبابه. ولا يفترض فيه الآن

أن يبذل جهداً كبيراً بعد نجاحه ككاتب مسرحي. ومعروف أنه ثري حتى

قبل أن يشتهر. واقتصر استدلؤه في تلك الفترة على... أبناء الطبقة

العليا. هل تفهمين قصدي؟

«كلا».

فحدثني فيها أندرو ضاحكاً:

«هل تفهمين أنك لا تعرفين؟» حسبت أن بريارا أخبرتك أن والده

كان أميراً. أولست تعرفين شيئاً عن كيلبي؟

«وما هي كيلبي؟»

«الحقيقة أن باتريك يمتلك أرضاً واسعة في أيرلندا، وبالتحديد في

مقاطعة غالواي. ولا شك أنك سمعت بغالواي».

وذلت سماتها وأجابه:

«ربما. ولكن بصورة غامضة».

«لم أكن أدري ذلك. ولعل باتريك سيقبلي إذا عرف أني أخبرتك أنه

يكبره كل أنواع المعرفة وجب الظهور والتعلي».

«ومن يزور أيرلندا كثيراً».

«الحقيقة أن أملاكه في مهنة مدير يدعى مايكل أوهارا، أنه اسم

أيرلندي عريق ولا شك. ومايكل يرعى شؤون خالي كلها. أما هو

فيضي معظم وقته في لندن، رغم أنه يجب أن يعيش في كيلبي لأنها مكان

جميل تنمو فيه الأعشاب الخضراء وتكثر التلال المنحدرة، وبالأحرار المياه

وهديرها مسامحك عندما تأولين إلى الفراش».

«أناك شاعرة».

«كيلبي تستحق مني شاعريتي لأنها فردوس الشعراء. ولا ريب أن أمك

مستوردها. ومن الواجب أن تراقبها».

فطلعت إليه سماتها فجأة:

«هذا غير محتمل. ولكن، لماذا لم تتصل بي بالهاتف؟»

«الحقيقة أني اتصلت، مرتين».

«وظهر الأرتباك على وجه سماتها».

«ولا أفهم شيئاً. فخير اتصالاتك لم يضافي».

«لم تتصلك! إن أمك وجدتك أخبرتني بالتوالي أنك غير موجودة».

«فطلعت تلك محاولتين التخلص مني».

«اتخلص منك؟».

«أجل. الحقيقة أني توصلت إلى هذا الاستنتاج بعد أن استعني بطرق

كثيرة أنك لا تعرفين في رؤيتي».

«ليس ما تقولته صحيحاً. فالحقيقة أني تأملت عندما وعدتني أن تتصل بي

هاتفياً، ولم تفعل... أو هكذا خيل لي. فهنا أتمكن كثيرة رغبتي في

زيارتها وهذا لن يحدث الآن لأننا سنتعبد غداً في دافن. والله وحده يعلم

كم سيقول غداً».

«أني أكرر اعتذاري في أي حال يا جيني. والحقيقة أني اتصلت بك».

«ولكن، ربما لم ترق فكرة خروجك معي لأهلك».

«من الواضح أن هذه هي الحقيقة. ولكن، لماذا؟».

«هز أندرو كتفيه. ثم فتح باب السيارة، واحتلت بريارا المقعد المجاور

لمقعد السائق برشاقة وهي تحسبها:

«مرحباً يا الشابات. منيلاً لكياً على هذه العتمة. هل أحسنت؟

التصرف؟».

«ربما تفهمين بريارا هذه الكلمات، صعد باتريك السيارة من الخائب

الأخر، فأحست سماتها بالنار في وجهها. وتأكدت أن والدتها قالت ما قاله

بقصد إقحام باتريك أن سماتها وأندرو مرافقان بلهوان. أما باتريك، فلم

يأثقت اليها قبل أن يدبر مفتاح السيارة، غير أن ذلك لم يخفف من انزعاج

سماتها. وما أن خرجت السيارة من لندن، حتى أخذت تهب الأرض عبا

باتجاه سانتونيش. واشغلت بريارا في حديث متواصل لجاب باتريك على

بعضه بتقطع أحياناً. إذ بدا أنه يركز على القيادة تحت جنح الظلمة

الشاعظلة فوق الطرقات. وقاد باتريك السيارة بجدوه ومهارة كما توقعت

سماتها. وأحست أنها كانت تغفو لأن الرحلة كانت مريحة للغاية. ولكن،

قبل أن تلقي رأسها على كظف أندرو، دخلت السيارة بوابة من الحديد تقود

إلى منزل شقيقة باتريك.

وكانت الساعة قد قاربت الثالثة عندما توقفت الأوسنر عاتق أمام

المزحل الكبير القديم، وكان مثبداً فوق مساحة واسعة من صخور

الشاضي، وتفتح ياحته على مسبح عائلي خاص أقيمت على شفته حقله

الليلة. واصطفت على جانبي الطريق الخاضع بضع سيارات. ولم يكده

باتريك يوقف سيارته، حتى ترجلت سماتها منها لمرجة. ولور وصوتهم،

الندفع عدد من الأولاد نحوهم ورووا بأنفسهم مذبولين على ياتريك،
ماخرج لهم قطع السكاكر والشوكولا من جيوب معطفه، كما رفع الحفلة
الأصغر بينهم فوق كثيفه.

ووقفت بريارا ثالثة بشيء من الاستعزاز، في حين تقدمت سمائتا عنهم
بشغف لأنها جالسة حيث الصغير، الذين لم تمنع برؤيتهم منذ وصولها إلى
الكنائس. أما أندرو فكثر امامهم قائلًا:

وهذان الصغيران الشريان هما هي ودونالد. انهما تولم. اما ياتريك؟
فيحمل جيفر وهذه فران، التي تصغير فرانسيسكا جميعاً. والثلاث في ثمانية
من عمرهن، في حين تبلغ فران العشرة، ولم تعد جيفر الخامسة. ويضي
عليك مقابلة متيقن البالغ من العمر أربع عشرة سنة، لكنه الآن في مدرسة
داخلية. وغليه، لا بد ان تؤجلي مقعة لقائه المشكوك فيها.

صحتت سمائتا وقد حدثت اندرو على كثرة الشكك وشكيقائه. أم، لو
كانت اسرتها أسرة طليعية سعيدة، ولو كان خا مثل هؤلاء الاخوة المحبين،
وتقدم ياتريك منها حاملًا جيفر على كثيفه. ثم قال:

دما وأيك هؤلاء الزعاع؟

صحت سمائتا يذف:

وانهم آية في الجمال والروعة. واني اغبطهم على الفتاحهم وبحوزتهم. بما
اجل ان تكون ثمنه مثل هذه الأسرة؟

انهم ياتريك لها بركة:

وانظري جني تزوجي. عندك انسي أسرتك الخاصة بحيث تمنع
بيده المنة فعلاً.

رفعت سمائتا بصرها اليه وقد مررت لسانها بخفة على شفتها العليا.
وهبت بعذوبة:

وصحيح. وأني أنوي ان انجب حشدًا من الأولاد.

فهنسي في انفسها:

وانا متأكد من ذلك.

واستدارت بعيداً وقد عجزت في السيطرة على مشاعرهما. وابتلًا انفسها
برائحة البحر وعشبه، فغيرها الخير ال ايطاليا، ولكن لم يعد لها في ايطاليا
مترك ولا لب يضرهما بالآمان، وهذا ما تفقده الآن. وتأمل الثوم

بريارا ببعض الشك، إذ انبجحت لها فرصة مقابلتها من قس دون ان تترك
فيها انفسها حسناً. وحسباً انها تكثر من استعمال العطر، كما اعتبر ان
من الحافظ والسخط ان ترتدي بزة ضيقة من الحرير السيك الاخضر
لحضور حفلة على الشاطئ.

والتصفت قران سمائتا فيما ساروا نحو البيت. ومالت قران سمائتا
رهي تتأملها بقصود:

هل انت صديقة أندرو؟

اجابت سمائتا متسمة:

وليس بالشغف. انا ابنة الأنسة هاريت.

بدت الدهشة على قران:

بريارا هاريت؟ هل تقصين بريارا هاريت صديقة خالي ياتريك؟

«اجل. لماذا تسألين؟»

«حسنًا. الحقيقة اني لم اعرف انها متزوجة».

وانها ليست كذلك الآن لأن زوجها قد توفي، بل يجب ان أقول ان
والذي متولب.

دأما اذن لماذا تدعو نفسها الأنسة هاريت؟ من المؤكد انها
السيدة. . .

«هذا صحيح. الحقيقة انها يجب ان تكون السيدة كنظري. غير ان أهل
المرح يستعملون عادة اسماهم المعروفة».

فقطت قران جيبها:

وانك لا تشبهين ابنة.

«كلا. لمن اشبهها ابداً، ليس كذلك؟ انني اصغر منها سناً وأقل منها
شأناً».

ومآذا يعني هذا؟

اجبتت سمائتا لانها لم تألف تفسير المعاني لاجد، بل العكس كان
صحيحاً. وجاءت منها الفتاة الى أندرو السطر وزاها، فقال لها:

«لقد سمعت. احقاً تعرقين الجواب؟»

رفعت سمائتا حاجبها غاضبة، واستدارت نحوه. وضغطت على
معدته ضاحكة. فظافرو أندرو انه اصيب بجرح بليغ. فركض نحوه

التواضع وقد اعجبتهما اللعبة. وقبلما تشهد صاحبة. فظنرت برباراً الى
بثريك بكرياً. واكدت فجأة: ولا شك انك احببت. فسمعتا جميع
نفسهما. ان الاولاد دائماً يستمتعون بالخيالة، اليس كذلك؟
اتول بثرىك جيفر الى الارض مدعياً انها ثقيلة. ثم نظر الى رفيقته،
وسألها متهمكاً:

«هل انهم من قولك ان الكبار لا يتمتعون انفسهم؟»
فاجبت برباراً:

«انك تسيء فهمي عمداً».

وتكلمت الاحشام وهي تنطق النظم وتدخل البيت. وكان السيد
والسيد فريزر زوجين في العقد الخامس من عمرهما، متزوجين منذ نحو
عشرين سنة. وكانت جينا، شقيقة بثرىك، سيدة نحيلة القوام مديدة
القامة تشبه سماتاً في بيتها، وقد تسرب الشيب الى بعض شعرها. ان
زوجها جايلز، فكان رجلاً مريضاً للشكوى اشقر الشعر والبشرة له كرش
صغير وقد استقبل سماتاً ووالدتها مستقبلاً دافلاً.

اما الصيوف الآخرون، فكانوا اثنين من الجيران مع زوجتيهما الى جانب
عمام وزوجته وعفيدة متقاعد وابنته العازبة، اخبافة التي بعض الشبان
المراهقين من اصدقائه أندرو وفرايسبيكا.

وارتدى الجميع، باستثناء بربار، ملابس خفيفة تتألف من البناطيل
والسترات الصوفية السمكة اتقاء لنسيم البحر البارد. وجرنت سماتاً على
ربار التي ارتدت بزة فرو قصيرة قبل ان تخط الى الرمال، لان طبعها ابت
عليها الا ان تظلم بمظهر يهر الجميع جيتاً ذهباً وحيثاً حيث. ولما كان
ارتداء البناطيل لا يتناسب وحليها القصيرتين، فضلت ان تكون ملابسها
نسائية بالدرجة الاولى.

وظلمت سماتاً بتعشقه الى انواع الاطعمة المختلفة. ولم تقلب على
اشدائها الا عندما ادار الاولاد آلة التسجيل. وفضت لتراقص أندرو.
وشكلت الارض الرملية حلبة مثالية للمرقص وسرعان ما وجدت نفسها
تقلب على مشاعرها اذ رأت الجميع يرقصون ايضاً. اما الكبار، فجلسوا
على مقاعد اطلة صبت على شكل دائرة حول النار. وتولى خادم برندي
معطفاً ايضاً تقديم الشراب. وأصم هدير البحر الآذان، فيما انشغى

الجميع من راحة الاعتساب. وتحت سماتاً لو كان الجو أكثر دفئاً حتى
تتمكن من السباحة. ووصل مزيد من الصيوف بينهم كين مايدسون وشلة
من الفتيات. وسرعان ما أصبحت سماتاً وأندرو وسط حشد صاخب، اما
الكبار من الأطفال، فجلسوا يتسامرون ويضحون.

ولما افلتت سماتاً من دائرة الضجيج. وجدت نفسها بجانب جينا
فريزر، شقيقة بثرىك، التي انضمت لها بلطف وبسالها.

«هل نعتبرها جينا جاني؟ ان معظم زوارني يصعبون كيف يمكنني ان
أحصل كل هؤلاء الاولاد النشيطين البقطن، لكن عزائي الوحيد هو اني
لاستطيع ان أعرف دوماً اذا كان احدهم مريضاً. فالمرضى يختلفون عادة عن
غيرهم. كين، هل تعرفين كين؟»

«اجل، ليس هو شريك أندرو؟»

«صحيح. ان كين واحد قادم غالباً ما يزورونا، ويصبح مائة استرنا
لاني عشر شخصاً أو أكثر كل ليلة. وكثيرون يجدون حياتنا صاخبة لا
تطاق».

«فعلت سماتاً منسية:

«اني الخبثك على هذه الأسرة الرائعة. فلما لم أعرف بدأ معنى ان يكون
لي اشقاء وشقيقات».

«هذا مؤلم. اخبريني، هل تحب وتلك الاولاد؟»

«ارتبكت سماتاً. فامتلات جينا ندماً، واعتذرت:

«اني آسف يا عزيزي. كان يجب ألا أقوم بهذه الكلمات. الا انني
اتسرع دوماً. ربما لمجيت لك الاتصال بالاولاد عندما تزورونا. ولعل
خيلتي صورت لي ذلك. ولكن، اذا كان الامر كذلك، فاني أمل الا تزوج
بثرىك لانه يجب الاولاد حتى العجالة، وتعني، على ما اظن، ان يكون له
عدد منهم. والذي تدمر علاقة من بقائه عزباء».

ثم تمسكت، وتابعت كلامها:

«يمكن بثرىك. انه رجل لطيف للغاية. واننا نضطر الى السماح
للأولاد بمزيد من الحرية في حضوره لانهم محبوبوه كثيراً».

«ومع صوت مبحوح في اذن سماتاً:

«محبوبه كثيراً».

عرفت سماتنا الصوت فوراً. وانضمت جينا بحب:
وكانك لا تعرفنا هل تستمع بالسمرة؟

قال يوح:
«أظن ذلك. من هذه الفتاة التي تراقص كيز القيلة وترتدي معطفاً من
جلد النمر؟»

«أنت لعلك تقصد النجلاء»
وتهمت جينا، بينما نظمت سماتنا حولها لترى الفتاة التي تكلم عنها
باتريك. وسألت:

«هل انضمت لك الصورة؟»
«أجل، لقد انضمت الصورة. ماذا تعمل هذه الفتاة يا سيد
فرايزر؟»

«سيد؟ بحق السماء، تدني جينا يا عزيزي. الجميع يفعلون ذلك. أما
بالنسبة إلى النجلاء، فالتصور لها راقصة في أحد نوادي المدينة الليلية.
وهي باتريك وهو يراقب نظامها بأعجاب الشاغل. على الرغم من الموسيقى
الصاخبة»

«أنا لراقة»
فحدثت به سماتنا متسائلة:
«والجيب كذلك؟»

وانتقلت جيت لتحدث ضيفاً آخر من ضيوفها. وأخبر باتريك سماتنا
خارج دائرة الدار. «أنا لها حركات نفسها من ذراعها، وانجبت نحو البحر
ولما لم يجر بها، أهتمت بقوطها»

«أرى أنك كنت تحاول اغرائي»
فسألتا متعلقتين من اهتمامها:
«ولماذا أحاول؟»

«دخلت سماتنا يديها في جيبي بنطالها، وردت عليه:
«حسناً. ليس من المحتمل أن تقع في هوى فتاة مثل... أو... أن
تراقبها»

وقلنا باتريك في ادخلك يديه في جيوب بنطاله بعد أن تحمل من مقلقه
وأبلى على سترته الصولية:

«؟؟؟»

خولت سماتنا نظرها عنه وقد الزججت واضطربت. ثم صاحبت:
«اصمت. لا أريد أن أسمع أي شيء آخر»

ورغم أنها خرجا من دائرة الحشد المجمع حول الدار، كان بالإمكان
رؤيتهما في ضوء القمر الشاحب. ووقفت باتريك عند طرف الشاطئ
يخفق فيها وتساءل بعدوية:

«حسناً. وماذا تخبرني إن تسمعي؟»
هزت سماتنا كتفها:

«لا شيء. كل شيء»

«يجب أن يكون هناك جواب واحد لما عساني أن أرو على قولك
هذا»

ضربت سماتنا الرمال بقدمها صائحة:

«لا شيء. سندعب غداً إلى دافن»

«أعلم ذلك. أخبرني برأيك بالأمر»

فتعنت سماتنا بصوت خائب:

«كان لا بد من ذلك»

«يا الهي! لقد أزعجتك، أليس كذلك؟ إنني أكرر اعتذارتي»
قصاحت سماتنا تنحب:

«لا تعلمي. إن كنت طفلة»

«وهذا أعرفه أيضاً. أنك في الحادية والعشرين من عمرك»

«لعلت منها الفجأة مذمورة»

«كيف عرفت ذلك؟»

«هز باتريك كتفيه «المريضين»

«أنت امر بسيط للغاية. زرت دائرة سمعيت»

«واين هذه الدائرة؟»

«في لندن طبعاً. وأعلمك لا تعرفين شيئاً عنها. إنها تضم مصلحة تسجيل
الولادات»

«ههههه»

«استغفرك باتريك متبهاً:

قال فتهدأ:

«هيا نركض، فقد انتصت إلى رقصك».

فاضمت سمانتا:

«هل هذا صحيح؟ اني سعيدة بأن اشتاق إلى اخذ».

وقام عدد آخر من المخدم بتقديم العشاء. وحلمت سمانتا مع فتاة

أخرى على اريكة، فيها وقف أندرو يقربها يتحدث إليها ويلبي رغباتها. ولم

تتناول الا القليل من الطعام إذ فقدت شهيتها ووجدت صعوبة في ان تأكل

شيئا. أما لو بقي ياتريك فجدايا ويخيل في أن واحدا

«ورق تلك كذبت علي، واخبرني أنك في السادسة عشرة من عمرك».

«صحيح، ولكن، كيف كان يمكنني ان أقول بحسن ذلك وببرابرا، آه،

يا الفاتية؟».

«من السهل علي ان اتصور ان برابرا لا تريد الاعتراف بانها ابنة في

عمرك».

«اجل، هل اخبرتها بانك تعرف الحقيقة؟».

«كلا، بالطبع، ولماذا اخبرها؟».

«لأن، لماذا تخبرني أنا؟».

«انصت سمانتا وهي تتساءل عن رأي ياتريك الحقيقي فيها، انها عمو،

فإنها لها مستورا كئيبا لمرورها، وسرعته في دعوها إلى الرجوع إلى الجمهور إذ

قال:

«من الخير ان تعود».

فهرزت سمانتا كتفيها:

«هل انت غاضب؟».

«كلا، لماذا اغضب؟».

«أفك فديو كافك».

هز ياتريك كتفيه فيها استدارت سمانتا فتهتف: «عادت ادراجها لنحو

الشار، وأنها انها لم تتأكد من حقيقة مشاعرها، وانها لم تفهم موقف ياتريك.

ولما بلغت طلة الراقصين الشبان، ووجدت ان ياتريك ابتعد عنها، تطلعت

حولها. وغابت أمامها إذ رآته يقف بجانب كرسي برابرا يتحدث إليها، فيها

ضحكت هي له بصوتية: «ها كانا نتحدثان؟ هل اخبرها بما فعله؟ لو فعل،

فان سمانتا لن تنجى لو لموت».

«وقفت أندرو بجانبها يتأملها باضطراب:

«هل نبرت مع خالي العزيز؟».

علت الجسرة عينا سمانتا لشعورها بالذنب، ولبابت:

«اجل، لماذا تسأل؟».

«أه، لا شيء».

وهز أندرو رأسه خائرا، فليس من عادة ياتريك ان يتصرف بمثل هذه

الطريقة مع فتاة تكاد تكون بعمر ابنته.

hinda70

وأدرك فجأة أن برابرا تتحدث إليه. فتطلع إليها وبدت رائعة الليلة حقاً. وقرر أن يستمتع بصحبته لأن شيئاً في علاقته لم يتبدل في الواقع. لقد قبل برابرا كما هي، وأقنع بأنها لن تزعجه. ومع أنها مقروورة وإنانية ومهروسة أحياناً، إلا أنه يعتبرها المرشحة الأكثر حقاً في حال انفاده قراراً بالزواج.

الا أن سمانتا غيرت كل ذلك بالتأكيد. عليه أن يقترح برابرا ويقبل سمانتا على أنها ابنة زوجته. رغم أن مشاعره نحوها لم تكن مشاعر ابوية على الإطلاق. وهنا سألت برابرا:

«لماذا الحادية عشرة والنصف الآن، متى تتوقع أن تذهب؟»

تحدث باتريك بالفكره إلى مواضيع أقل خطورة:

«عندما تنتهي هذه الحفلة الراقصة».

«وكما سلت عيناه السودوان بيتا أخفاف:

«هل أتعبك السهر والرقص؟»

«كففت برابرا بقطعة شفتيها:

«أعطني اشعر بعض الملل»

ومعها أنا؟»

وضغطت برابرا على عقه وهي تجيب:

«إني لا أشعر بالملل معك أبداً يا حبيبتي».

واعتدى باتريك ذعر واشتمل شديداً. هذه ليست الوجهة الصحيحة التي ينبغي أن تسير فيها الأمور. وحتى شخصاً توّنتهي علاقته برابرا عند هذا الحد. فقد كفاه ما حان حتى الآن. ولا بد أن يجد من الليلة فصاعداً، شيئاً للابتعاد عنها. وربما سمحت له التزاماته بمغادرة لندن مدة أسبوع أو عشرة أيام في الأكثر. يجب أن يزور كولبي. إن المكان رائع في هذا الفصل من السنة حيث يكثُر صيد السمك والطيور.

ولن يجد في غير إيرلندا السكينة والسلام اللذين ينشداهما للتخلص من اضطراب أفكاره. فضلاً عن أن جرتومة مسرحية جديدة بدأت تعشش في رأسه. ويستاح له الفرصة هناك لتدوين أفكاره على الورق، بعيداً عن برابرا وسمانتا حيث يستطيع أن يرى الأشياء ثانية كما هي.

وما كانت الموسيقى تنتهي، حتى تقدم جاييلز منها بخطوات عريضة

٦- أين تنتهي اللعبة؟

رقص باتريك مع برابرا على الشاطئ الرملي. ووجد أن عينيه تتحولان باستمرار إلى سمانتا التي انضمت إلى شلة كين مايدسون، وسرعان ما تغلبوها لأنها كانت مثلهم في شبابها وجيبتها، وبدا أنها تستمتع بوقتها. وتطلع باتريك بعيداً. أنها صغيرة أيا يكن عمرها الحقيقي. والحياة لم تمر بها أو تصقلها بعد. ما الذي يجعله يعذب نفسه بالتفكير فيها؟ وأحسن أن القدر قد رتب لقاءهما في الطائرة حين كانت سمانتا معلقة بين السماء والأرض، عندئذ كانت قد رمت حياتها القديمة وراءها، واستعدت للقاء حياة جديدة تنتظرها. وكان باتريك هو الوسيط وحلقة التوصل بين جزئي وجودها. لذلك يشعر بمسؤوليته عنها. لماذا اشغل بها وهي التي لم تطلب مساعدته أو مشورته؟ أما لقاءاتها، فانتصت بالحلة. وماذا وجد فيها حتى شغلت أفكاره طول الوقت؟ صحيح أن ليس بالإمكان انكار جاذبيتها، ولكن، إذا قورنت بالقاصح، فإنا نجد برابرا أجمل من ابنتها، وأدق بيتاً منها، وهي علاوة على ذلك لا تهرم أو تشيخ.

إن الحل الوحيد هو لعنة بالنسبة إليه. إذ من المنخفض أن يفكر، وهو باتريك هالوري. . . الذي يلين كل أنواع المشاعر ما عدا نهمه للنساء، هذه الطريقة. لم يرد أن يكون شريكاً في لعبة الحب التي تقيد الأتमान وتتطلب منه الكثير، فإذراً جزء مهم من حياته، تماماً مثل الكتابة، إلا أن اقتراحه بالمرأة خلف غير هدف الحصول على ربة منزله ومضيفه لمسيره فكرة لم يخطر له من قبل. يجب ألا يخترق بأن شعوره يتعدى كونه مجرد تقدير أو إعجاب بسمانتا.

وقد ارتسم شعوبهم على ملامحه، وحانت منه الفاتنة غريبة الى بربرها اذ قال:

«هل تسعين يا آتية هاريت، اني اود ان احدث اليك باتريك بكل الفراء».

هزت بربراً كظفرها واستدارت مبتعدة، فيها التحنن جابلز مباتريك، وسأله الأخير بقلبي:

«ماذا جرى يا جابلز؟ هل يتعلق الامر بالاولاد؟».

هو جابلز رأسه مختافاً.

«كلا، كلا، لا شيء من ذلك يا باتريك، اسمعني، لقد تلقينا غابرة هاتفة من لندن من سيدة تدعى ايميلي، اظن انها تعمل لحساب الأتية هاريت».

«هذا صحيح... انها عذبتها، استأففت حديثك».

«من الواضح ان اللايفي دافنبورت أصبحت نبوية قلبية الليلة».

«ماذا؟».

«هذا ما أحشاه، و... واهيلي تعتقد انه من الأفضل ان تبلغ الخبر الى الأتية هاريت بنفسك».

«أذن، لا يد انا مات».

«كلا، فقد تحدثت الى الطبيب، وأعرب عن اعتقاده ان تستمر على قيد الحياة طوال هذه الليلة».

فنبط باتريك يده على قلبه، ثم أحنى كتفيه هاتفاً:

«آه، يا الهي! اتصور ان من واجبا ان نعود الى لندن بأقصى السرعة، اليس كذلك؟».

«اجل، فالطبيب اعلمني برغبة السيدة العجوز في رؤية سمانثا، وهي ابنة الأتية هاريت على ما أظن، اليس كذلك؟».

«اجل، سمانثا».

ومد باتريك بصره الى الامام وقد اكفهر وجهه، ثم بدأ يستمع افكاره:

«واسمع، سوف اخبر بربراً، ثم نطلق، وبعد ذهابنا نوضح الامر للضيوف، كما سألنا بالطبع لانه من البديهي ان نحضر معنا، وكل

لأنكرو ان من الخير ان يبقى هناك، لاني لا اقلقه برغبه بالعودة معنا والاضاع على ما هي الآن».

«وكلا، كلا، سوف تحدث الى اندرو، كما سأشرح الوضع لجينا، حاول ان تسرع قدر ما استطعت، اتمنى لك حقاً سعيها يا باتريك».

واخذ باتريك يبحث عن بربراً التي وقفت بجانب آلة التسجيل تبحث بالاشرفة، وفكر لحظة كيف ستلقى الخبر الذي سيقلقه اليها... منذ

قليل كان يفكر انه يعاني بعض الصعوبات، غير ان هذا الحدث خلق الوفاة مؤلفة من التعقيدات الجديدة، وسمانثا، ماذا عن سمانثا الآن؟ كان من

الغفرض ان تعيش مع جدتها، وان تذهب سباحاً الى دافن، ماذا سيحل بها الآن؟

انقبضت معدته، لقد أصبحت سمانثا شيئاً مهماً بالنسبة اليه، بل الشيء الأهم في حياته، وهي لا تحس ولا تدري.

والجهد يبطء صوب بربراً التي استدارت فور سماعها وقع اقدامه قائلة: «حسناً، هل انتهى مؤتمركم؟ ولماذا انت كئيب؟ ماذا هناك؟ لا بد ان

اعترف بانني وجدت قرابة في تصريف جابلز».

فأداه باتريك الى احد المقاعد الخشبية الطويلة بجانب طاولة العشاء الحالية الآن، وقال:

«لدي شيء مهم اخبرك به يا جيني، فاجلسي لاني اريد ان انتهني من الامر بسرعة».

ترأفقت عينا بربراً فرحاً:

«شيء مخيفي به؟ لماذا يا باتريك؟ يا للمتعة!».

سأقت عينا باتريك، ولما جلست وضع احدى قدميه على المقعد، واتحن فوقها فيما راقبه بربراً بشغف وعينها تتلألأ كنجمتين ساطعتين.

لقد تيقنت ان الامر مهم، وتضرعت الى الله ان يكون ما طالما قنت سباحه، وما ان تلفظ بكلماته حتى دهشت بل دهشت، وبأن على وجهها

للحظة تقدمها الكثير في السن، وأحسنت انها مشتهار على الارض بسبب الضعفة وخيبة الأمل، ثم سألت بسلامة:

«هل ماتت؟».

«كلا، الا اني فهمت ان الطبيب لا يعتقد انها ستبقى حية الى الصباح».

سمانتا، التي كتبه دائماً إلى وجود باتريك، لتواجهها في هذه اللحظة.
وظفن باتريك إلى مشاعره مجلداً. كانت رائحة في رفقته هناك بقايتها
المدينة وقدعا للمشوق وتظرفها الغربية. أصابه ألم شديد بقري الكبد،
عندئذ أدرك أنه يحيا. وهنا نادى بربرا بسرعة:
وسمانتا. أنا ذاهبون.

كانت رجلة العودة إلى لندن أطول رجلة عرفتها سمانتا، وقد تجددت
بأساً وقلقا. ومع أنها لم تدر فمعة واحدة عندما تأملت غير أصابة جديتها
بنوبة قلبية، إلا أنها أدركت أن دموعها تتسيل فيها بعد. وشعرت بذهول
وعدم تصديق، إذ ووعها احتمال أن تكون السيدة العجوز المحبوبة، التي
رحبت بها في الكنترا، واقفمتها أنها بحاجة إليها، فواجهت سكرات الموت.
ألا يتحمل أن يكون وصوها قد عطل في حديث الكارثة؟ هل يمكن أن
يكون أرحلق جديتها في الأسير الثقافي مسؤولاً عن تحذك قلبها؟ واكتفت
سمانتا بأن تكون هذه الأفكار رفيعة درجا. ولم تكن بحاجة إلى سماع
والتيها وهي تنسب حظها وتكفي جديتها بين الحين والآخر وأبقت أن بربرا
تتظاهر بالخرن لتستدر عطف باتريك. ولم يتكلم باتريك منذ انطلاقهم في
رحلة العودة إلا قليلا، وغرق في أفكاره الخاصة. فتساءلت سمانتا عما
يدور في عقله خصوصاً وأنه يعرف اللايدي دافنبورت، ويعرف جماعة
الكارثة:

ووصلوا إلى المدينة أخيراً. فساعد بربرا على الترحيل، أما سمانتا،
فتسبقت إلى الخروج، وانذهقت بسرعة إلى داخل المبنى.
انتظر طبيب اللايدي دافنبورت وصول الثلاثة. وكان رجلاً نشيطاً
صغير الجسم، في أواخر العقد السادس من عمره، طويل الشاويين. وبدأ
شديد الاضطراب بينما يشرح الشفة بعصبية. اكتفت سمانتا بنظرة واحدة
إلى عماء حتى تأكد من صحة مخاوفها، فتجمدت في مكانها. بينما اخلق
باتريك الباب ونظروا جميعاً إلى الطبيب الذي تحدث ببرة حزينة:
«يؤسفني أن أبلغكم وفاة اللايدي دافنبورت قبل نصف ساعة.»
واسرعت بربرا بالجماء غرفة نوم والديها، حيث خربت على ركبتيها
بجانب السرير تتحبب بحددة. وخرجت أميل من الغرفة بعد لحظات،
واغلقت الباب خلفها بعدم الكراث. بدأ على وجهها الشحوب وكأنها
كانت هي أيضاً تبكي. لكنها كانت الآن هادئة وراصة الجاش. وفرك

وتقلصت عضلات وجه بربرا:
«آه، آه، يا باتريك، لماذا كان يجب أن يحدث لما حدث؟»
وانفجرت بكية. وأخذت تنسج بصوت عال.
وعلى أن نذهب الآن. ويجب إبلاغ سمانتا والعودة إلى المدينة بأقصى
السرعة.

تأملته بربرا بغربة، ثم انصبت واقفة وبألمته بركة:
«ماذا يمكنني أن أفعل بتوكت يا مساعدتي الأمين؟»
فردت بحدوة:
«أحسبي لا نفع في معالجة النساء الناضجات. واني اعزتك من كل
قلبي.»

وعادت بربرا إلى اليكاه ثانية، ولكن بحدوة هذه المرة.
«لتفترض أنها ماتت، ماذا أفعل؟ سأشعر بأقصى حالات العزلة
والوحدة. ولن أستطيع أن أعيش في وحدتي.»
فألق باتريك برفاحة:
«تكتك. لا تعيشين مع أمك.»
«صحيح. إلا أنها دائماً تهب إلى نجدتي عندما احتاج إليها.»
تفرز باتريك وهو يفكر، ما أعظم أنيليك أنها المرأة! هل تفكر بربرا

بأحد سوي نفسها؟ ثم استأنف حديثه:
«وهناك سمانتا. أنها تعيش وحيدة أيضاً.»
فحدثت بربرا فيه مستفهمة:
«سمانتا فتاة مستظلة يتغيرها مثل والدها. وهي لا تحتاجني.»
فسأها باتريك بالهام:
«والاحتاجك؟ لكنها تحتاج أن يكون بجانبها شخص واحد على الأقل.»
اعلمت بربرا عينيها نصف اغماضة. وسألت:
«هل لذلك أية اقتراحات؟»
تكلف باتريك ابتسامة صغيرة:
«ولذا تكون لدي اقتراحات؟ على أية حال، من الخير أن تعلمها
الآن.»

وانجها إلى حيث كانت شنة المراهقين ترفص على الرمال. وتطلعت

الطبيب فنه متأسفاً. ثم تحول نظره إلى باتريك، وقال ببطء:
«لم يكن بوسعي ان افعل الكثير هنا. فقد بدأ قلبها يضعف منذ سنوات
عديدة. وحين ابلغتني قبل اسبوعين بحضورها الى لندن، نصحتها الا
توهن نفسها. لقد كانت سيئة عجزاً، ولم يطل الأمر كثيراً...»
وتحول الطبيب ببصره الى ايجلي:
«هلا تفصلت بإبلاغ الأسة هاريت باني ساحضر صباحاً لأعداد
شهادة الوفاة، والتدقيق في التفاصيل؟ فليس هنا شيء آخر يمكن فعله
الليلة».

وتقدمت منه ايجلي قائلة:
«اجل يا سيدي. شكراً لك على كل ما فعلته».

واينضم الطبيب بشيء من الحزن:
«الشكر». لقد كنت في شجاعتك وقوتك اشبه بالأبطال.
ولما غادر الطبيب، استدار باتريك وهو غارق في التفكير نحو سمانتا التي
ظلت مستمرة في مكانها منذ دخلت الشقة، وكأنها عرست في الأرض.
وبدا عليها الدهول. ولما خاطبها باتريك، تطمعت اليه بعينين خضراوين
حزبتين. فاقرب منها وهو يستعم دول ان يكثر الوجود ايجلي خلفها:
«سمانتا! سمانتا! اوجوك».

فقال سمانتا وهي تهر رأسها:
«لقد توفيت. آه يا باتريك. لماذا يموت كل الذين احبهم؟»
رد باتريك عليها بقسوة:

«كفي من هذا الحزن. فبعد تلك سيئة عجزوز، وعجزوز جداً. ولا شك
انك سمعت ما قاله الطبيب. وكان من المحتمل ان يحدث ذلك في أي وقت
من الاوقات. ومن البديهي ان يكون فرحها بوصولك قد اثر عليها، الا انها
حققت امنيتها برؤيتك واحضارك الى هنا. وهذا كافٍ بحد ذاته».

والتمعت عيناه حنواً:

«صديق ان تصدق ذلك يا سمانتا لانه الحقيقة.
فاطلقت سمانتا تنبلة حارة:
«وانا واثقة من ذلك على صواب. ولكن، هذا ليس عدلاً. الحقيقة ان
الفرصة لم تنح لها. لقد كنا على اعية التوجه الى داخل... غداً...»

بل اليوم! والآن، انتهى كل شيء».

وما الذي انتهى؟

وهذه القصة بتأملها. هذا القناع. لن ابقى هنا بعد الآن. ومع
بربارا».

والتمعت الضلابة في عيني باتريك:

«آه! لكنت مستيقن يا سمانتا لانك تشعرون الى هذه الاسرة. ولن يمكنك
المغروب».

«المغروب؟ ممن؟ ان بربارا لا تريدني هنا».

فعلق باتريك بجفاء:

«لن اصدق هذا الكلام. قلنا تصور ان ليس امامها اي خيار وان
غادرت الآن... كلا. اظن انه من الواجب ان تبقى».

«وماذا اذا لم ارجع في ذلك؟»

«لا شك ان بربارا ستجد طريقة لاجبارك. لا تخش شيئاً».

عندئذ خرجت بربارا من غرفة والدتها وقد جففت دموعها وامتنع لونها
بشكل مؤثر. وهتفت:

«آه يا باتريك! ارجو المعفرة. لقد نسيت نفسي كلياً. وانت يا سمانتا!
انيتها الحبيبة! هل يمكننا ان نتحمل المساة معاً؟»

لم تتحمل سمانتا ذلك، بل شعرت برغبة في التقيؤ. ونقلت نظرها
بينها. ثم اطلقت صرخة مكتومة، وانددت عبر الردهة باتجاه غرفتها.
غزت بربارا كضيها، ونطلمعت الى باتريك وكأنها مرتبكة. وتهدت
صارخة:

«ما الشغلي! ان الفتاة ساحطة، وان الامور ستعقد».

«وقلنا ستعقد؟»

«اضمن ان سمانتا ليست طفلة سهلة الانقياد».

«طفلة؟ انها ليست طفلة».

ضاعت عينا بربارا فيما خاطبته باستغراق:

«وانها لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها».

تجامل باتريك معرفته بالسرو فلا الزمان ولا المكان يسمحان بإثارة هذا
الموضوع. وقال:

وعلى ان اذهب ، وسأرجع صباحاً لأرى اذا كان بإمكانى مساعدتك في شيء . وفي أي حال ، فان الطبيب وعد بان يرجع في الصباح ليرتب الأمور ويدقق التفاصيل . وأظن ان الصحفي ستنشر القصة عندئذ .

نظرت اليه برباراً متاملة :
واستمال أكيد . حسناً يا باتريك . أتى لشكرك كثيراً .
ثم استأنفت حديثها بشيء من البرودة :
ويبدو أنى اذكرك بالواقع في كل مرة التيك هذه الأيام .
فانضم باتريك لها مبتسماً :
والك طفلين ، اذا لا بد ان يكون طموحي اعظم من ذلك .
والآن ، نصيحين على خير يا برياراه .

وما اتفاق الباب خلفه ، اشعلت برياراً سكاراً بأصابع مرققة ، واعتارها غضب عارم . غضب مكتوب . لقد اظهرت كثيراً من اللين مع باتريك ، الا انه لم يرد ان يفتن لذلك . فلماذا ؟ لماذا ؟ وفزعته الردة ذهاباً وأياباً بغضب .

كان من واجبه ان يفعل أشياء كثيرة . والحقيقة ان ملهه باتريك وهو يقف بجانب سماتنا لا يقرأ اليها بعينين قلقتين نساى عن الرقة ، فوضى كل مشاريعها . وسماتنا ! انه لأمر عزن . لقد ظلمنا ابنة ست عشرة سنة . ولو كانت كذلك ، لكان هو يثقله والدها . الا تلك ذرة من الكبرياء ؟
هل تقف مكتوفة اليدين لتخرج عل الرجل الذي رخصت له تصرف تصرفاً حقى مع ابنتها ؟ كلا ، انها لن تسمح بخلوت مثل هذا الأمر . لا يد من فعل شيء ما . ماذا يمكننا ان نفعل ؟

كان لا بد من دفن اللايدي دافنيرت في دافن لانها اعريت عن رغبتها في ان ترقد في مقبرة العائلة هناك . وهكذا رأت سماتنا بيت المستقبل في اوضاع مختلفة كثيراً عن تلك التي توقعتها . واصحاب الدوار منذ ليلة وفاة جديها المشؤومة . وعاودها نفس الشعور عند غياب والدها . ومع انها لم تعرف جديتها مدة طويلة ، فان علاقتها كانت حميمة . والآن ، لم تعد تشعر بالامان الذي انتزع منها فجأة ، الا في حضور باتريك .

وانضم سلوك برياراً تجاه ابنتها بالبرودة والتحفظ . ولم تظهر الخنان والانتفاع الا امام الصحفيين الذين حضروا لمقابلة السيدتين وأخذ الصور

التذكارية علي . وروعت الشهرة سماتنا التي ظلمنا اعتبرنا حادثاً أولئمة في اسرها امرأة عائلياً بحتاً . كما انها اشتملت من ارتداء بزيارات اثبات الخداع السوداء التي راحت شفرتها برؤسها . وتأديتها دور الابنة الملهورة المنطفة سماتنا طلباً للمساندة . وتكاثرت زيارات ملزمن برايور ، المعلق العزوف . وكان على سماتنا ان تتعد عن دائرة الضوء قدر المستطاع . فحيا حاول برايور جهده ان يخلطها في كل مقال يكتبه اذ لهفته وباطة جاشها التي لا تظهر في اولاد معمرها . وتساءلت سماتنا ، وقد فطنت الى الأمر ، متى سينزور برايور دائرة تسجيل الولادات كما فعل باتريك ، ثم يرجع ليواجه برياراً بالحقائق المجردة ؟ وخشيت ان تفكر بما يحدث لو علمت برياراً ان باتريك يعرف الحقيقة .

وصلت سماتنا الى مسكن دافن في سيارة الرولر رويس بصحبة بارنز قبل الدفن بيوم كامل . اما برياراه ، فكانت قد سبقتها الى المكان لتقيام بالترتيبات اللازمة ، ولذلك لم يكن بإمكانها ان ترى ابنتها كثيراً . وبعد تناولها العشاء بمفردها ، أوت الى سرير عريض كاد يتسع لعشرة اشخاص معها . ووجدت سماتنا صعبة مضاعفة في الحلوة الى النوم لان اقراص الوير المحشو بالريش وفرعاً دفناً شديداً لم تالفه . واستيقظت مع غيوط الضجر الأولى قبل صباح الذبك . وازاحت الستائر حتى تسبح للضوء الناعم بالتسرب من الخارج . ثم تأملت مشهداً طبعياً وأدعى أعاد الهدوء الى أفكارها المضطربة . وامكن لسماتنا ان تلمح بين المروج الحضره ، روضة ازهار احييت بسياج عال . كما شاهدت بركة صغيرة ، خسانت اذا كانت اسماك الذئب الصغيرة تستطيع ان تسبح في أعماقها الجليدية . وقضت هذا الصباح مزعومة باستطلاع الأراضي المهيطة بالمتزل . فوجدت اصطبلات للخيول كما قالت جديها ، وأفرجها جوادان لأستعاضاً بأنثىها طلباً للمكسر . وقدم لها مياش الحيل المعجوز بعض السكر لتطمعها ، وكان هناك بغل صغير بني اللون لحق بسماتنا ، وتأكدت من محبتها له . وما احبرها صاحب الاصطبلات انه لم يطلق عليه اسماً بعد ، اقضت بضع دقائق تختار له اسماً بقصد السلوى .

كانت مراسم الدفن سيتم عند الساعة الحادية عشرة . ولما عادت سماتنا لتناول فطورها ، وجدت برياراً ترشفت بعض القهوة المرة وهي تدخن ،

ولقد ما سرت حين حان الوقت للاستعداد. وأيقظ ارتدائه ملابس الحداد فيها العزم على ألا يتكفي علناً.

حضر باتريك من لندن بعد العاشرة بقليل. ولا شك أنه غرض أكرر بكثير من عادته. وبدأ متأنقاً في بزته الصياحية الفاتحة وربطة عنقه السوداء. وعاد قلب سمانتا يضيغ من صدرها إذ رآته. لقد أضفى حياً بالنسبة إليها، وحيياً جاداً. وأحست أنها وحيدة في العالم مرة أخرى، خصوصاً وأنه لم يكن يتقدورها الاعتماد على برنارا، التي أوضحت لها بجلال في الأيام القليلة الماضية، أن دوافعها لادخاها دائرة الضوء معها بدأت تلاشى بسرعة، وأنها كلها أسرع في العودة إلى حيث جاءت، كلها فرحت بها واحتبتها، وكلها باتريك بعطف: «مرحباً. هل أنت بخير؟»

فحدقت فيه وقد ضاقت نفسها. ثم همست:

«أني... أتي بخير الآن».

«أين أمك؟»

وأحسب أنها في قاعة الجلوس مع متعهدي الطعام الذين يملكون

الغذاء...».

أطرق باتريك، ثم سألتها:

«وماذا ستفعلن بعد ذلك؟»

«كنت سمانتا رأسها لتخفي لوتيا كلها:

«ولست أعرف».

«ودنا باتريك منها ثانية وهمس في أذنها:

«والا تدرين؟ ألا ترين أن تعودي معي إلى لندن؟»

رفعت بصرها إليه وقد بان الذمور في عينيها. عندئذ خرجت برنارا من قاعة الجلوس إلى البهو وقد ارتدت ملابسها السوداء. وأبلمت سمانتا عن باتريك فوراً، فلم يتح لها مجال الرد على أسئلته. أما برنارا فدنبت منه هاتفة:

«حبيبي، هالتي قد حضرت. وأحسبني قد سمعت صوت السيارة منذ

دقائق».

«صحيح يا برنارا. كنت أجدت إلى سمانتا... هل كل شيء على ما

يرام؟»

ثم سارا معاً يتحدثان، قنبا حاولت سمانتا استرجاع أفكارها. أماذا قصد باتريك بجملة الأخيرة؟ وماذا عني؟

وتفكرتها حيرة مطلقاً لأن لغتها الأخير سارتك إذ كان أرواحاً هو الشدائد إليها. لكنها لم تستطع أن تقرر إذا كان ذلك الانشداد مؤقناً أو دائماً، ولعله يستمتع بمذاعبة الزهرة الشبية في الحديقة. لكنه عند اتخاذ القرار، لا بد أن يتحار الزهرة الأنصرة، والتي اشتد عليها الأقبال، ويبدل أنية صديقتها القديمة الجاهلة والساذجة. والأعجاب لا يمكن أن يسمى حياً. إذن، لماذا دعاهما لمرافقة إلى لندن؟

وأصابتها الرغبة لأن ما خطر لها لا يمكن تجاهله. هل قصد أن تغادر داخل معه؟ وانطوت على نفسها برهة فيها الخبيضت عينيها. وطرح عليها عقلها أسئلة كثيرة. اليس من المتع أن يتنقى الحصول عليها بهذه الطريقة، لأشباع رغباته ولأختيار مشوة التملك ولو لفترة قصيرة؟ أليس الحصول على كسرة خبز أفضل من عدم الحصول على شيء؟ أيام معدودة في الفردوس.

«أرجو المندورة. الست أنت الآنسة كنغزلي؟»

فتحت سمانتا عينيها وقد احمرت خجلًا وأحست بصداقتها، وكان أفكارها قد كثبت على صفحة وجهها بحيث يقرأها الجميع. ووقب إلباسها رجل متقدم في السن يرتدي بزة صياحية فاتحة. وكان رأسه أعلى من مستوى ذقنها بقليل. فأجابه باتريك:

«أجل، أتي سمانتا كنغزلي».

«ولمست ذلك. أتي أسف إذ قطعت عليك تفكيرك واحتلامك».

«فأعاقمت حيرة سمانتا وخجلها كثيراً وقالت:

«أرجوك».

فأبسم الرجل لها:

«لا تعطلني يا عزيزتي... علي أن أقدم لك نفسي. اسمي

بولام، جوزيف بولام. عامي جديك واستشارها أبقانولي».

فأدركه سمانتا الانشام قنبا تضالمت حرجها:

«أه، أجل. كيف حالك يا سيدي؟ هل تبحث عن والدي؟»

«ليس بالضرورة. لقد غفيت أن أجدت معك قليلاً حتى تتسنى لي

مرفقتك على نحو افضل. ولا يزال امامنا متسع من الوقت حتى نوجه الى الكنيسة. لقد حضرت حديثك الى مكتبي بينما كانت في لندن واخبرني الكثير عنك.

تفقت سماتنا رأيناها.
«كم تقيت لروائي عرفتها مدة اطول»
«حسناً. انا متأكد انما تقيت ذلك ايضاً يا عزيزي»
وبدلاً غرفة الجنوس الصباحية مع حيث تفقت قطع الاثاث بشواشف
يضم في معظم الغرف. غير ان سمات رفعت الشراشف عن مقعدين.
ثم دعت حبيبها الى الجلوس: «ولا اربحاء» سألها السيد بولام:
«اخبرني، هل لديك اي خطط بشأن مستقبلك؟»

تهدت سماتنا:
«الحقيقة، كلا. فانا... حسناً... اني لا اريد التعدي على حياة
والذي الخاصة. فهي ميعة كثيرة... الشاغل»
«بربارا كانت دائما... كثيرة الشاغل»
وردة السيد بولام قبل ان ينفق بكلماته الاخيرة. ثم اضاف:
«عليت انما جتيدا يعرض مسرحية في شهر كانون الاول (يناير)
القبل»

«اجل. وان اعتقد ان السيد مالوري، باتريك مالوري، هو اللي
كتب المسرحية الجديدة».

«باتريك مالوري! التقيت هذا الرجل من قبل. هل هو هذا اليوم؟»
«اجل. والحقيقة انه يجلس مع أمي الآن»
وسجل السيد بولام بشكل مرهق:
«هل يخطط ان تزوج والدتك ثانية؟»
بلغت سماتنا ريقها بصعوبة:

«تقصيد ان تزوج بتسديد مالوري طبعاً؟»
«حسناً. اذكر ان جدتكم تصورت الامر معقولا»

جزت سماتنا كضيقا التحيلين:
«حتى. لكني لا استطيع انرم باي شيء. لان بربارا لم تحدثني عنه»

«واذا تزوجا، هل ترغبين في الإقامة معها؟»

«أنا كلا».

ظهرت الحيلة على سماتنا. هي تقيم مع باتريك والدتها! وهي تعرف
انها زوج وزوجة! ان ذلك مؤلم ويخطئ! وأطرق السيد بولام وزيت على
رأسها:

«هكذا جمع. لا تقلقي يا عزيزي. فاني واثق ان لا داع لحولك»
«خوفي؟»

«رد عليها السيد بولام ببساطة:
«انه ضرب من الباطلة»

ثم نظر الى ساعته:
«احسب ان علينا الانضمام الى الآخرين لان الموعد اقرب»

وحضر الى جانب بربارا. وباتريك وسماتنا والسيد بولام وعدد من
اصدقاء اللايدي دانفورث القدامى الذين سكنوا في الحي نفسه. ورافقت
البيبي، حاملة اللايدي دانفورث ومرافقتها. السيد بولام وباتريك في
سيارة الاخير. في حين احضرت سيارات عديدة لنقل باقي الحاضرين
لم تسمع سمات لنفسها بالركاء علناً، بينما لم تقطع بربارا عن الركاء
تقريباً. وغالباً ما وجدت باتريك بجانبها، فكان لها عزاء ومواساة. وبعد
ثانية مراسم الدفن القصيرة، ووري رفات اللايدي دانفورث حدث
الرحمة في مدفن العائلة.

ولما كان وكيل أعمال بربارا، تشارلز باتريك، قد حضر من لندن، فقد
اربعها في سيارته الى المنزل. لذلك قبلت سماتنا دعوة باتريك لها
باستعمال سيارته في طريق العودة. وراقها باتريك وهي تستقل السيارة
بعينين دافقتين ملوحتين الجنو. الا ان سماتنا اجبرت نفسها على عدم لمس او
طلب مساعدته وحديثه. ولم تقطع اليه بعد ذلك، بل اجبرت نفسها على
التحديق خارج النافذة. ولما اخرج باتريك السيارة وعادها صوب البيت
قال:

«تعتنين انك في مأمن معي»
قبلت سماتنا فغارها الموضوعين في حاضنها خاتمة:

«في مأمن؟ ان لا افهم قصيدك»
«الا تفهمين؟ حسناً يا عزيزي، انك فتضيقون معي. وكاوي وغد يترقي

اسمك.

ولا تكن قطلاً في كلامك.

وهذه ليست فطاة، بل الحقيقة، ماذا حدثت اني قضيت من عبادتي

القصيرة في اليوم؟

وانى لا أستطيع ان أفهم شيئاً.

فعلت فطاة:

وإذا صبح حكمتي على تعامير وجهك، أستطيع القول انك توقفت أموراً

كثيرة. يا الهي اقرب لي يا سمائلا، ماذا تعبريني؟

أطبقت سمائلا شفتيها غطت. ثم قالت:

ولا. لا أفكر ان رأيهم مهم. لكني اود ان اعرفه، ماذا قضيت من

دعوتك لي باصطحابك الى لندن؟

قيض ياتريك على مقود السيارة باصابع متشنجة:

اهل تسألني ذلك؟

وبلغة لا اسمك؟ كيف يمكنني ان اعرف ماذا يدور في رأسك؟

وبذا ياتريك متخاضاً الى أقصى الحدود، فيها اجست سمائلا برعشة.

واقفقت السيارة امام باب المنزل الامامي. ثم تطلع اليها بعينين وفقاير سبها

الشرب. وقال بيزوفة:

مفصلي بالخروجه.

اطاعت سمائلا امره، وألقت عليه نظرة أخرى فيما مثل قابلاً في مضغه.

وساوت باتجاه الباب برجلين مترجعتين. ماذا فعلت الآن؟ وأين سنتوي

الذمة؟

٧- الشجار الأخير

بعد القداد، طلب السيد بولام من بريارا وسمائلا وإيجيل مراقبته الى

المكتبة. ولا كانت سمائلا لا تعرف ان وضية الميت تقرا بعد دونه عادة،

استصرت عن سبب دعوتها. والحقيقة انها لم تستطع ان تفهم الشر الذي

سبغها عليه السيد بولام، الذي لم يستطع الترح به في عاداتها

الصباحية. وكلماها الآن بصورة جدية:

هاتك انت وامك وإيجيل المستفيدين الثلاثة من وضية جدك. ألم

تخضري قراءة وضية قبل اليوم؟

فهرزت سمائلا رأسها سلباً. واضاف السيد بولام:

هيا بنا اذن. حتى لا نضيع مزيداً من الوقت.

اتسمت مقدمة الوضية بالقصر والوضوح. وورد اسم الكليل أولاً.

فاوصى لما يبلغ الف جنيه علاوة على دخل سنوي مقداره خمسة جنيه الى

حين وفاتها، وحتى تصبح مستقلة كما جاء في وضية الالايدي دالميزوت

حريقاً. ولشد ما استهجت إيجيل وأخذت تنقب في حقيبته يدها عن مذيل

تسبح به دموع التائر. في حين اتسمت لما سمائلا، اما بريارا، فلم تعط أي

دليل على شعورها باستثناء نظرة استعلاء متدخنها الى الكليل.

وتكم كانت دعشة بريارا عظيمة لاجزاء اسمها ثانياً على قائمة الورثة.

فاتجهت الى الامام وضافت عيناها. وتساءلت سمائلا عما رأى السيد

بولام، في فضول لها المتزايد. والى ابنتي بريارا، التي اورتها الكثير.

اوصى ميراث مقداره عشرة آلاف جنيه وطف مخطها في شراء

الاسهم.

واطلقت سمائها صبيحة غنوقة، فيها استطرد السيد بولام يقرأ:
... ولها جواهر الاسرة التي نثر عليها مبالغ ضخمة ان هي احتاجت
ان تبع ابا منها. وامتنني من تلك الجواهر فقط لاني والدتي لا ينبغي ان
تقدم الي سمائها في يوم عرسها.
تخضت بريارا من مقعدها، وجذفت في المحامي بلهزل فيها صاحبت في
وجهه من الحطة:

وهل هذا كل شيء؟

تفرعن السيد بولام بالوصية ثم قال:

واعقب ذلك اجل يا آنسة هارويت. هذا كل شيء يتعلق بك.
فصاحت باستياء وضعت:

ولكن هذا مضحك. ولا يمكن ان يكون صحيحاً. فمالأ عن
دافن... الاملاك... هذا المنزل؟

اجابها السيد بولام وهو ينظر اليها بقسوة:

واذا كنت نفسك عناء الانتظار بقصص لحظات، تابعت قراءة الوصية.
هل يمكنني استئناف عملي؟

تخضت بريارا رأسها بعنف، وشراعت الى الوراء ثم اشعلت سيكارة
باصابع مرعقة. وانتظرت قراءة السيد التالي.

لما سمائها، فارتخفت. ماذا يعني كل هذا؟ وهل يمكن بعد ما قاله لها
جدها ان لا تكون بريارا عسكة بكل اطراف النعمة؟

ورمق السيد بولام بريارا بظفرة استهجان اخرى قبل ان يستأنف قراءة
الوصية:

واستمرأ الوصي الى خليفته سمائها ببقية املاكها بما فيها مسكن دافن
وكل الاراضي المحيطة به.

عندئذ شهقت سمائها لا شك انها تعلم ان يتابع السيد بولام قراءته:
ولقد اوجعت بالبيت سمائها بحلاوة غل دخل يساعدها على صيانتها.

لان ليس لها منزل تسكنه بعد وفاة والدها. واذا حدث ان تزوجت بريارا
ثانية، فاني واثقة انها تفضل لابتها ان تكون مستقلة عنها.

وتخضت بريارا بحزن وقد انتصبت واقفة:

ولا عليك انها جنت. لا يمكن ان اقبل بذلك. فهي لم تعرف ان سمائها

قادمة الا في الامتايح القليلة الماضية.

رد السيد بولام على ادعائها:

واني اوافقك في جزء من اقولك على الاقل: صحيح انها لم تعرف ان
سمائها ستخضرتي هذا لكنها عندما عرفت، خضرت الى ثناء وجودها في

لنت ولم تغير الوصية لصالح الانسة كنفري الا قبل وقتها بفضعة ايام.
سحقت بريارا سيكرتها بغسوة لقد خاضت معركة خاسرة مع نفسها.

في حين عجزت سمائها المتعولة عن المشاركة في الحديث وحالت الغفلة من
السيد بولام باتجاه سمائها، فيها تحامل بريارا وانفعالاتها لحظة. ثم انخرج

مظروفاً من حقبة اوراقه قائلاً:

وان لك في عهدي رسالة يا عزيزتي، طليت لي جديك اعطاك ايها
بعد وقتها. واغلب الظن ان فيها التفسير لما حدث.

وتذمرت بريارا بوقاحة وخضت عالى:

وماذا؟ هل تحتاج الى تظيل وتفسير من الذي يحتاج الى تفسير لكل ما
حدث؟ اني اعتبر كل ما حدث غريب ضروب الخداع والمكر.

وكلمها السيد بولام برفقة:

واني لا احمل لك رسالة لسوء الحظ. واني ذلك يا آنسة هارويت، اوجو
الا برعيتك قولي انك تسلمت ما يكفي من الميراث. وكثيراً ما اخبرني

والدتك عن كرهك لكل ما يتعلق بدافن.

فأجابه بريارا وهي تفكر انها تحلت عن ملوك السيدات وتصرفهن
اللائق: ولا يصحني قولك انك، لكنني اعتبر ما حدث مروءة. وليس من

العدل ان تشتم هذه المخلوقة حياتنا وتغضب.

واشارت بيدها الى سمائها. عندئذ تكلمت ايجلي للمرة الاولى:

وهذه المخلوقة، كما تصليتها بوقاحة، ليست سوى ابنتك.

فصاحت بريارا في وجه ايجلي وهي تصب عليها جام غضبها:

اصمتي ابنتي العجوز اللعنة للخضام، بما من حاولت الالتفاف حول
والدتي بكلماتك الليرة، لا تحسبي اني غافلة عما فعلت.

انتصبت السيد بولام واقفاً وقد رفع يده:

وكفى! انك تشين نفسك يا آنسة هارويت. وكلماتك تشير الى فضيحة
واهمات ارجو ان تحذري منها. فلنشات الانسة ايجلي ان:

أزدهم وجه برباراً قبلاً:

واصبروا جميعاً. التي تريد مقاومة هذا الوضع، ولا تظنوا اني ساتوقف عند هذا الحد.

فأخبرها السيد بولام وقد غضب هو الآن:

«إذا فعلت ذلك، فسأشرب حورك عاصفة كبيرة من المضجيج. وسأجلبك الصحافة هذفاً لاشاعائنا، خصوصاً وأن القضية تتركز حول اعتراض أم علي وصية لأن ابنتها هي المستفيدة الأولى منها.

ارتفعت برباراً وقد شل الغضب تفكيرها. وصاحت:

«اتكلم جيماً تضايقوني».

كتب السيد بولام ثورته وخاطبها:

«ارجوك، اصبري. أما أنت يا سمائلا، فهالك رسالتك يا عزيزي».

«اشكرك».

نجمت سمائلا في نطق خفة الكفنة وأخذت الرسالة من السيد بولام. إلا انها لم تفتح الرسالة باصابع مرتجفة، بينما راقبتها امها وكأنها تنوي ان تتزعمها من يدها وتطلع على محتواها. وجاء في الخطاب ما يلي:

«عزيزتي سمائلا:

على أولاً ان اطلب العذرة منك للأكاذيب التي لفتها لك عند وصولك إلى أنكيترا. فالحقد من الضروري ان تبقي هنا بناء على شروط بربارا. ولم أجد وسيلة أخرى لاقتناعك سوى ان اضيق مستقبلي بين يديك. لقد أثبتت لك أمة والدك في هذه الناحية. وأني أحييتك من أجل ذلك. لكي أقدم لك الآن حراً لم تقومي ان تحاذيك أمة ان يعرض لك عن بعض المعاملة الشبهة التي لفتها من استرني.

لا تسمح لي بربارا ان يخيفك. وأني رافقة انها ستحاول ذلك عندما تطلع على وصيتي. لأنها وإن لم ترغب يوماً في السكن في المنزل، فإنها تعرف قيمته الشرائية.

والآن، أنت تسكن بالآوراق. صافن لك، ولا يمكن لأحد انتزاعها منك. وإنك الآن وريثة شرعية ولا حاجة بك للاسوار بعد الآن. وبومنتك زيارة إيفالبا الغريبة عنك من شئت. والعودة إلى منزلك الخاص في هذه البلاد.

وربما التقيت ذات يوم رجلاً يشاركك حباتك. ستدرك لعلك تحب ان تقبلي بعض السنة في دافن. وأنه من دوافع سخطي ان تصور اصوات الاولاد لئلا جنات النزل القديم، وجميع الغرف تفتح بذلك ان تكون متاحف مقلدة.

فليت سمائلا الصبيحة بينما ذرفت بربارا الغرفة وقالت: «حسناً! ماذا تحرك؟ لا شك عندي ان كلامها عاطفي يثير الاحاسيس».

تطلعت سمائلا إليها وقد قبلت بعض المتابعة ضدها وضد انتقاداتها اللاذعة. وقالت:

«أنا عاطفي فعلاً. إلا انه لا يثير اللعاب. انه واقع وساحتمل به إلى آخر عمري».

التفتت بربارا حقبة يدها، وتوجهت إلى السيد بولام:

«يجب اني ان ياتكالي الدجاء الآن».

«لا أرى مانعاً من ذلك».

والحقيقة ان السيد بولام حتى لو ذهب. سارت بربارا نحو الباب. ثم التفتت نحو الثلاثة بغضب وحقد: «اتكلم يا جميعكم تضايقوني».

ونضت سمائلا وأجهت نحو إميل مطية خاطرها:

«لا تكثرني لما قلته والذي يا إميل. فأنا كانت في حالة ارتباك واحتياج وخيبة أمل».

ردت إميل مبتسمة:

«لا عليك يا أمة سمائلا. وإن أسفة عليك أنت».

«لا تخافي علي. فاني أحسن تدبير أموري».

«حسباً يا أمتي». سوف أراك الآن».

ولما ذهبت إميل، وبدأ السيد بولام يجمع أوراقه، عادت سمائلا إلى التفكير بأن كفتات والدها لم تفاجئها قدر ما فاجأها وصية جدتها. ففكرات بربارا لم تعد تدهشها، رغم ان الغضب والحقد عندما يظهران على وجهها يخفانها أحياناً وأجست سمائلا أن عينيها أغروقتا بالدموع، إلا انها كتبت دمعها. وأراقبها السيد بولام قبل ان يقول:

«تذكرني اني قلت لك ان لا داع لحورك وقلقك».

إنسمت سمائلا للرجل الكهل:

وهل يعني ذلك ان يسكنني البقاء هنا اذا أصبحت؟

وبالتقطع. فهذا المنزل منزلك. والأراضي اراضيك بكاملها. وليس بإمكان احد انزعاعها منك. ولا أجبر ولا اضطر بك، لأن امك لا تجرؤ على المخاطرة بالاعتراض على الرصبة.

والى اعصم ان امرأة غاشمة وبهشة.

عصر السيد بولام شفته:

وبذلك ان. انها تعاني من رأس وأرقى كثيرين. لها الآن، قاض ان

على العودة الى المدينة.

حسناً. ايرجعت ان ابقي هنا بعض الوقت؟ فان كنتي كثيراً من الأمور

يجب ان افكر بها.

وطبعاً. سوف اتصل بك خلال الأسبوع القادم لاشرح لك بعض

الفاصيل.

وحين خرج السيد بولام اعادت سمانث قراءة الرسالة من جديد، محاولة

ان تفهم المسؤوبية الجديدة التي التفتت على قائلها. الا انها لم تستطع ان

تفهم، وهي التي لم تعرف يوماً معنى ان تلك نقوداً تفيض عن حاجتها...

وتساءلت عما سيفعله بارتريك. هل ادرك انها لم ترد ان تكون رقيقة معه، بل

جاءت ببساطتها ان تفهم لغز؟

وقفت لم يبق تناول المشاء. لقد تأكدت ان يرياراً استدعوه للبقاء،

ولعبها عندئذ تجد فرصة للتحديث اليه بمفردها. وتساءلت عن موعد رجوع

يرياراً الى لندن. هل ترغب في الإقامة هنا بضعة أيام؟ اما بالنسبة اليها

هي، فقد قررت البقاء هنا مدة من الزمن. ليسنى لها الاسترخاء، الأمر

الذي لم يتوافر لها منذ وصولها الى لندن.

ولما خرجت من المكتبة، وجدت المكان شبه مهجور الا من الكولونيل

ونيش فسلكه بلهشة:

أين ذهب الجميع؟

انصب الكولونيل ونش وانفأ. وكأما بصوت الماعز:

والحقيقة يا عزيزي ان جميع الخدم عادوا الى واجباتهم. اما امك، فقد

صعدت الى الطابق العلوي عن ما مضى. في حين غادر السيد مالوري الى

لندن منذ حوالي ربع ساعة. اما المعلمي... بولام... فقد ذهب معه.

احسنت سمانث ان الأرض مادت تحت قدميها. وزودت بحفلة:

والسيد مالوري ذهب؟

داجل يا آنسي. والحقيقة انه انطلق بعد ان تحدث قليلاً مع والدتك

التي عجزت عن اقناعه بالبقاء.

اطلقت سمانث تهيدة حارة:

ويا الهي!

وحانت النظرة رقيقة من الكولونيل تجاهها:

دخل هناك شيء. يضايقك؟ اترقب ان تكوني قد ادرجت نفسك اليوم.

فصعدت الى غرفتها. ولم تدرك ماذا ستفعل، فالمساء لم يقترب بعد. وبالم

تكن تعرف نوايا والدتها، عجزت عن التفكير بما تعمل. لماذا لم تغادر يرياراً

مع بارتريك؟ من المؤكد انها كانت ترغب بمرافقة اذا كان يقصد المدينة.

واشعلت سيكارة ثم جلست في مقعد الشاقة. لا بد ان تحصل بارتريك

الليلة. ولكن، ان فعلت، ماذا تقول؟ وشعرت بعجزها عن تزيئة نفسها اذ

لم تر او تحس بالفعالات المرتسمة على عيها، وربما كانت على خطأ أيضاً.

فمن المحتمل ان يكون قد غضب منها لسبب آخر.

وسمعت طرقاً خفيفاً على الباب. ثم دخلت ايميلي، وانصبت للفتاة

قائلة:

ولماذا تجلسين هنا يا آنسة سمانثا وتضمعين وثبك بالاكتاب؟

تهددت سمانثا:

وآه يا ايميلي. يحفل الي ان كل شيء قد انتهى.

لكنني واثقة من قدرتك على قهر الصعاب.

والى اساطرك الرأي. والامر لا يعتمدى كونه ضياعاً وعدم ذراية بما

ساقطه. ماذا كنت تفعلين؟ ها انذا خاطلة بيمتلكاني، ولست اعرف من

اين ابدأ بتنظيم حياتي اني طالت نظمي لي الآخرون من والذي انا جدي.

واختبى ما احشاه ان اعيش هذه الفترة من حياتي دون هدف.

قالت سمانثا لهما ايميلي:

وستنقضي هذه الفترة. وهذا امر طبيعي للغاية. فلا تحاولي استعجال

الأمور لأن امك متعبة كثيراً من الوقت. وارغب ان اعلمك بان هناك

بعض الحديث داخل المطبخ عما تدوين فعله بالترنل والخدم. وكذا تعلمين،

توقع الجميع ان يتنزل الميراث الى الانسة بربارا في مكان وفاة اللايدي دافنبورت. ولما كان الجميع يعرفون انها لا تحب هذا المكان، فقد توقعوا ان ينقلوا امرأه بالانصراف. اما الآن، فهم ليسوا واثقين...
هضمت سماتها فوراً:

وعليهم ان يبقوا طبعاً. ارجو ان تطمئنهم حول هذا الموضوع. ولا داعي لحوقهم لاني لن ابغ دافن.
حافظتها ايميل بارتياح:

والحقيقة انني صغلت عندما سمعتك تقولين ذلك يا انستي. واعلم ان هذا ما ظننت اليه جدتك، كانت على يقين من انك ستحبينه كما احبته.
وأه، اني احبه. لكن هناك اشياء كثيرة ينبغي القيام بها، ولا شك اني مشغولة نفسي لسنوات عديدة بالأمور التي اريد ان اعملها هناك.
تعلقت ايميل بتكرار:

«ولماذا تريدان ان تنظلي نفسك لسنوات عديدة؟ لئلا المؤكد انك ستتزوجين حياً قريب وتنجبن اولاداً. او تحسبن اني لا اعرف ان عمرك يزيد على ست عشرة سنة؟ ام اني انا في دافن عندما احضرك الى المكان وانت طفلة؟»

«هل كنت هنا حقاً يا ايميل؟»

«اهل. واذاكر ان اللايدي دافنبورت اقامت ضيعة عظيمة حولك. ولشد ما اترجعت عندما حضر السيد جون واختبك بعيداً».

تحدثت سماتها بحرقة:

«كان هذا عند زحف بعيد».

«اهل، الا انك امرأة تاضجة الآن. وبماكنتك ان تضلي ما تشائين».

«هل هذا صحيح؟»

اجبر الصوت البارد الساخط التلميح من فتحة الباب المرائين على الاستدارة، لتجد بربارا واقفة هناك. كم مضى عليها وهي واقفة في الباب؟ كم سمعت من حديثها؟ وقالت لايمل:

«توقعت ان اراك هنا تملأين رأس الفتاة بالاحلامك المجنونة. لقد قلت لك انك عبور حقاها تتدخلين في كل شيء. ومن الواجب ان تخرجي من هذا البيت الآن، وحالاً. ولا شك انك شجعت والدتي على ارتكاب

حماقتها، واستنوار عطفها على هذه الفتاة التي اجرنا على استرجاعها وتبكيها. كنت اعرف انك المسؤولة عن كل ما حدث لانك تكبريني...»

تجمد وجه ايميل غضباً وحرارة. الا انها تكنت من القول بهدوء: «لم اذكره يوماً يا بربارا. الا انك كنت تقارنين بيني وبين نغارين من اي شخص تقترعين انه قد يخطف طريق الاضياء المسطرة عليك. واعرف انك لم تريدي الاعتراف بانيتك، ولكن، لماذا؟ هل كان ذلك لأنك ام غير طيبة، ام لأنك خشيت ان تكبر استك وتصبح جذابة فتخطف الابصار المشدودة اليك؟»

«اصمتي...»

«لن اصمت. فلما قد صمت طويلاً حتى الآن. ولو علمت والدتك، زوجها الله، ببعض ما فعلت، لاترجمت وهي في قبرها».
عندئذ عبرت بربارا الغرفة وصغمت ايميل بوقاحة عن وجهها، الامر الذي استدعى تدخل سماتها، فصاحت:

«ايمل. ايمل...»

هزت ايميل رأسها:

«لا تضطربي يا انستي، فانا ذاعية، لكني سارجع وارك ثانية عندما تقل مشاغلك واهتماماتك. لا تشغلني يا عزيزتي. فكل شيء سيكون على ما يرام».

واستحدثت سماتها الخادمة بالخروج من غرفتها وقد خافت من ان تعصها امها ثانية. ثم عادت لاقابلة بربارا التي قالت:

«حسنًا. ومما تظنين انك ستفعلن الآن؟»

هزت سماتها كفتيها:

«لست ادري بعد. قاي احتاج بعض الوقت للتفكير... لاستجماع افكاري».

«وتتوقعين ان تضلي هذا هنا؟»

«طبعاً. فهذا قرار ي قبل كل شيء».

ويبدو انك انت التي تصورين كل القرارات، اليس كذلك؟»

«لا افهمك يا بربارا».

عقب، برنارا يعتقد واضح فيا جليست على المفعول العليل:
«لا افكك تغلين».

فيما طيتها سمائها وقد حاولت المحافظة على هندستها:
«هلا تفضلت الخروج؟».

«لماذا؟ انك انتي قبل كل شي».

فاجبتها سمائها بغضب:
«انتي ابتك بالاسم فقط».

«حقا اري اننا نزداد حقداء».

ولست سمائها شقيها الجافين بلسمها:
«ارجوك لا تسمي شجارا بيتا».

«ولماذا لا؟ فانا ارجو هذا الشجار» واعطت اني عشت شجاراً طويلاً
هذه المرة.

«لا فهم قصيد».

«باتريك مالوري» انك تصوفين وكأنك تجهلين كل شي».

احمرت سمائها عجباً وقد عجزت عن ضبط انفعالاتها، ليها اطرفت
برنارا متفافة:

«ارأيك؟ لا اكاد اذكر اسمه حتى تحمرين عجباً» والتسخرية بحق
السياء، قولي لي ماذا تظنين انك تعين له؟».

فسالها سمائها باقتضاب:

«واذا كنت لا تعتقدين اني اعني له شيئاً فليماذا تقولين انك عشت
شجاراً معه طوال الوقت؟».

«سؤال حسن» الحقيقة يا عزيزي، انها الاعمى المنيشة في صدري،
انه عندما غادر صديقنا المشترك هذا المنزل، اعلن بوضوح انه لا يريد
الابقاء على علاقتنا له باية واحدة متناه.

صعبت سمائها وصاحت:

«ماذا؟».

«الخبرني انه يعرف عمرك الحقيقي» وقد اعلن انه يتغني بخلفي لاني
عندت الجميع» وانسدت عليك سمائها ذلك، والآن، ماذا تظنين انه قصد
بملاحقته هذه؟».

كانت سمائها تبكي:

«ولا يمكنك ان افهم شيئاً».

«وكذلك اننا» لكنك قلت له شيئاً اوضحه» وقد اخبرني ان شركة اميركية
لانجاح الانلام عرضت عليه شراء حقوق نشر مسرحيته الاخيرة، وانهم
طلبوا اليه السفر الى كاليفورنيا فوراً انه كان راغباً في ذلك».

«واكنت لي ملاقة عندما غادر المنزل انه راغب في ذلك من كل قلبه» وعلمية الحبيب
ان كلا منا قد ندم شيئاً، اليس كذلك؟».

«ذهلت سمائها» وانصرفت:

«لا» لا يمكنك ان اصدق هذا».

«حقاً؟ انما صبحت شكوكي».

«ولا يمكنك ان افهم كيف يسمع رجل من
مستوى باتريك لنفسه ان يتورط معك ولو مؤقتاً».

ارتدت سمائها على قاعد البافون» ما قيمة خطبتها لتجديد وترميم ذاقت؟
الم تفكر انما متفعل ذلك ليس من اجلها هي فقط بل من اجل باتريك
ايضاً؟ عندما استأثرت برنارا حديثها متدرة:

«وحسب ان ذلك سيخرجك من علك الوهمي» لكن، ليس هذا كل ما
في الامر».

«ومعاً» يمكن ان يكون هناك ايضاً؟».

طرحت سمائها هذا السؤال دون ان تكثر بتفسيها، لمن المؤكد ان
برنارا لن تصطليح ان تؤذيها اكثر من ذلك» اذا كانت علاقتها باتريك، قد
انتهت» لا يهمها شيء».

«وماذا قالت لك وانتي في رسالتها التعليمية؟».

«هذا شأن خاص بي».

«اراهن انها لم تطلعك على السبب الحقيقي لاختصاصك الى لندن».

ردت سمائها بانشداء:

«السبب الحقيقي لاجباري الى لندن؟ عندما علمت جدي بوفاة
والدي» اسرعت الى وضع الترتيبات لخصوري الى انكلترا».

انسمت برنارا ابتسامة قاسية» ثم فصحتك بوقاحة:

«والحقيقة اني انا فعلت ذلك» ولكن، يالك من فتاة بريئة يا سمائها
العزيرة».

ووقت برابرا ثم تقدمت من النافذة:

«الحقيقة أن جدتك العزيزة احضرتك اليها لأنه لم يكن امامها اي خيار آخر».

فخلصت عضلات سمائها، وصرخت:

«كفى من التحدث بالانغاز. ماذا تقصدين بقولك انه لم يكن امامها خيار آخر؟».

ادارت برابرا ظهرها الى النافذة وقالت:

«والحقيقة ان والدك وضع في وصيته شرطاً يطلب فيه اعطالك بوجودي عند وفاته، وبوجوب احضارك الى انكلترا على ان اعترف بانك ابنتي».

احست سمائها بالتموار:

«ماذا تقوين؟».

«اجل يا جيسي. لقد حسبت انك لم تعرفي هذا السر».

«ولكن، كيف كان يمكنه ان يفعل ذلك وهو لا يملك اي ضمانات بانك ستقبلين؟».

الضمت اليها برابرا موبخة:

«الم يكن عنده ضمانات؟ الحقيقة انه كان يملك افضل ضمانات ممكنة في مثل ظروفه».

فصاحت سمائها وهي تكاد تضجر باكياً:

«تابعي حديثك. ما هي الضمانات؟».

«لقد كتب والدك رسالة يعرض فيها ظروف زواجنا وطلاقتنا، مشيراً الى التاريخ والاسماء وكل شيء آخر. ولا شك انك منذ وصولك الى هنا ادركت الاهمية التي تعلق على الضمادة في اوساط السرح. هذه الضميدة الابدية الاخلاقية... كانت كفيلة باحتضاني وانتهاء دوري. ولقد كان يعرف ذلك. وكانت الرسالة مستسلم الى الاشخاص الملائمين في حال رفضي الاعتراف بك».

اغضبت سمائها حينها بامسة، اذ لم يكن هناك شخص معين وأول قدر ما اهتمت والنتيجة ثم استأنفت برابرا حديثها:

«ولسوء حظك، لسي جون امراً بسيطاً هو منك. فهو لم يذكر شيئاً عنك، ولذلك استغفرت من الامر وطلت القدر على هذه الحياة البسيطة».

والآن ما رأيك بجذبتك العزيزة؟».

احسنت سمائها ان دموعها اوشكت ان تسيل على خديها. فهمست:

«لن يتغير شعوري ابداً. وأنا لا اهتم باقوالك لعرفتي ان جدي كان نحبي».

«لا تنسي انها تصرفت بناء على تعليماتي. فلور رقت البقاء في انكلترا، لكن كانت القصة تشر، لذلك كان من الواجب ان تبقى. وقد علمت اليها ان تستعمل كل وسيلة ممكنة لتعك من مغادرة البلاد. والواضح انها افلحت في مساعيها».

عندئذ همست سمائها بوهن:

«واقن انك ابغض شخص في حياتي. طالت لا تشعزين بالرقص الا عندما يحضر الجميع امامك ويقولون قديمك، اليس كذلك؟ كيف امكنت ان تخبريني بكل هذه التفاصيل؟ كيف امكنت ذلك؟».

تجهم نحياً برابرا:

«لانك لم تنسني لي الا الازعاج منذ ساعة وجرتك».

مسحت سمائها دموعها وسألها:

«وماذا عنك؟».

ابتسمت برابرا ابتسامة متكلفة:

«انا؟ لذي عملي... ومنزلي في لندن واصداقائي... وحتى ياتريك سيعود من كاليفورنيا آخر الامر. وهو سيبنى كل شيء لأن الرجال غالباً ما يفضلون... وربما تزوجته واصبح زوج امك».

رقت سمائها ناظرتها الى والديها:

«وماذا لو قررت ان الشر قصي في الصحافة؟».

هزت برابرا رأسها وافقت:

«لن تقعي يا عزيزي، فالقصة ليست من طبعك. ولذلك لن نتجني».

رغبت سمائها على امرها. انها لن تفضح برابرا. اما الأخيرة فالتجعت نحو الباب متأنفة حديثها:

«الظن اني سارندي ملائسي وعود الى المدينة لاني فعلت كل ما جئت لأفعله».

واقبتها سمانثا تغلق الباب قبل ان تطرح نفسها على السرير وتستسلم للنكاح . ومنحج إليها شعرت بالشفقة من قبل ، الا ان هذا كان الظلم والعذابات بعينها . فقد تحطمت كل آمالها واهلامها ، حتى ان حبها البريء لجذب أثوت بكتابات برنارد الفؤدة وانها ماتت الشبعة . ولم بعد هذا المزن بهي لها السعادة لانه شاوله اخرى لا يعادها عن طريق برنارد واسكتها الى الأبد .

٨- البحث عن سمانثا

وجلست بعد برهة لتخفف وجهها ، لأن الدخول ميزة الضعفاء ولن تكون سمانثا ضعيفة بعد الآن . لم يكن اسمها بجاك العمل اي شيء . الشيلة . ولكن غداً . . . غداً سترحل بعيداً . . .
وارتفعت معنيتها بعد ان اتخذت هذا القرار . كان يجوزها بعض المال اعطته اياها جديها لاستعاضة الشخصعي . وهو كاف لايصاها الى اي مكان تقدر السفر اليه . وعندما تصل الى هدفها ، ستجد عملاً . وستسنى انها عرفت والدتها وجدتها . . . وحتى باتريك مالورزي . ولكن ، اين تذهب ؟ لم تعرف الا القليل عن انكلترا ، ولم يكن لها اصدقاء هنا . اما في ايطاليا ، فهناك يتطرها . ثم تذكرت ماريك ، التي قالت انها تستطيع الاتصال بها وقت الحاجة في منزل شقيقها في رافا . انها تتكلم الايطالية مثل اهل البلد . ولا شيء يحول بينها وبين العودة الى ايطاليا .

مر اسبوع كامل تقريباً قبل ان يتدفع باتريك بسيارته الاوسمن مارتن عبر الطريق المؤدية الى مسكن دافن . ودعاه ان لم يلحق تغييراً في المنزل ، لانه توقع ان تكون سمانثا قد بدأت بتنظيف الغرف واسعة التسلو وطرد شعج الكاية . وعلى عكس توقعاته بدا المنزل موحشاً ، والدخان المتصاعد من المدخنة ينبعث من ناحية المطبخ فقط .

لقد اتسع وقته كثيراً في الأيام القليلة الماضية للتفكير . وانه يعرف الآن ماذا يريد . ولا بد ان يتحدث الى سمانثا في الموضوع ايأ تكن مشاعرها ، لانه عازم ان يعرف . وللمرة الأخيرة موقعه في قلبها .

وكثيراً ما قاله في نفسه انها صغيرة جداً بالنسبة اليه ، لا من حيث سنّها فحسب ، وانما من حيث وعيها وفهمها . الا ان مشاعره لم تكن جارية في يوم من الأيام مثلاً في اليوم . ولم يغمض له جفن لشدة قلقه على سمانثا . وكان قد تجاوز دافن غاضباً بسبب محادثته مع سمانثا وانها معها له في صندوق دعوته من جهة ، وبسبب الشجار الذي نشب بينه وبين برنارد من جهة اخرى . ولم يقصد ان يطلع برنارد على درايته بعمر سمانثا الحقيقي . الا ان السخط تملكه عندما شرعت برنارد بالتعير عن غيظها من اعطاء الشركة لسمانثا . ثم تبادلا بعض الكلمات القاسية قبل ان يفادرا ، لعلهم انه لن يتمكن من رؤية سمانثا مفرها اذا بقيت معها هناك . وكتم قنن ان يزورها خلال الاسبوع التالي . لكنه كان دائماً يؤجل قدومه بعينه توفير الوقت لسمانثا حتى تصافى من صدمة وفاة جدتها . اما اليوم ، فقرر ان لا يجال امامه للانتظار . واتطرق بعد الفطور مباشرة .

وحسباً ان اشكره.

وايتم الخادم بيما هبط باتريك السلم متوهلاً قبل ان يدخل مقعد القباية في سيارته ويندفع بها الى الشارع. وتبليت اذكارة واستقرت امام هذا التعول الخطر في مجرى الاجداث. وشعر ان ثمة خطأ لماذا حدثت سماعتها اني لندن؟ واين هي الآن؟

واختار القرية الصغيرة الواقعة التي يتألف مركزها التجاري من غزير متصل بمكتب البريد، الى جانب فندق صغير اسمه دكويتر هذه وكثيرة. ودخل باتريك الفندق طلباً للشرب قبل ان يكمل مسيره الى لندن. ولم يطل اقامته في الفندق اللهم بزمانين من اهل القرية. وجاء الى مقود سيارته منزعجاً لعدم قدرته ان يفعل شيئاً. اين يمكنه ان يجد سماتاً؟ هل يسعه ان يسأل برناردا عن مكانها؟ صحيح ان الفكرة لم ترق له، الا انها كانت الفكرة الوحيدة التي خطرت له. ودخل منزله. فنادى على السيدة تشسترتون التي خرجت اليه من المطبخ وقد ارتسمت الدهشة على عيائها وصاحت:

«اري لك عدت يا سيدي! لقد توقعت ان تاتى».

فاجاب باتريك ببعض البكاهة:

«وانا ايضا! اخبرني، هل اتصل احد بي اثناء غيابي؟»

«كلا يا سيدي. من توقعت اتصالاً؟»

«غري باتريك كفيف. ونهد بيما رد على سؤالها».

«كلا، في الحقيقة. حسناً اشكره يا سيدي تشسترتون».

«هل تناولت شيئاً يا سيدي؟»

«كلا ولكن، لا تضغطني لاني لست جائعاً».

صاحت السيدة تشسترتون مستهجة:

«هراء. سوف آخذ لك شطيرة، واحضرها الى مكتبك».

ولكني سابقي في زهرة الاستقبال لاني اريد اجراء عملية هاتية».

«حسناً يا سيدي».

واشعل سيكارة اخذ منها حبة طويلة قبل ان يرفع السماعة ويطلب شقة برناردا. وحيل اليه ان رنين جرس الهاتف لم يتوقف في الطرف الآخر من الخط الا بعد اعيال، مع ان صوت كلايد سميع بعد لحظات في الواقع:

«اشقة الانسة هاريت. من يتكلم؟»

وعندما رأى المنزل شبه نهجوز الآن، انبته خامته السافنة ان الامر ليست على ما يرام، واحس بوخز نتيجة الشك وانطلق:

وترجل من السيارة. ووقف ويده في جيبي معطلة راقعاً نظره الى المنزل.

ثم فرح الجرس فكان صدى رنينه حزناً في الدخول. ولم يطل انتظاره حتى فتح له الباب خادم عجوز هتافاً:

«أه! سيد مالوري! هل لي ان اساعدك؟»

«جيسي باتريك جيد».

«أود ان أرى الانسة سمات».

«بانت الحيرة لي عني الرجل العجوز».

«الانسة سمات! انها ليست هناك».

«اطبق باتريك راحته داخل جيب معطلة. وصاح:

«هنا! تعني انها ليست هناك؟»

«اعني ما قلته يا سيدي. فالانسة سماتاً غادرت دافن في اليوم التالي للجنائز».

«ولستك تعرف ذلك».

«اعترى باتريك قلق وخوف شديدان».

«كلا. وكيف يمكن ان اعرف؟»

«من الخادم كفيف».

«والحقيقة يا سيدي ان الانسة سماتاً قالت انها ذاهبة الى لندن. وعليه،

ظننت انها ستقيم عند والدتها. وبناء على معرفتك الوثيقة بالانسة برناردا،

توقعت ان تكون على دراية بالأمور».

«وتأرجع باتريك في وقفته».

«لمهت. ام تسمحوا شيئاً منذ غيابي؟»

«كلا يا سيدي. ارجو معذرتك. تفضل بالدخول يا سيدي».

تردد باتريك قبل ان يقول:

«كلا. لا اعتقد اني سأدخل لأن لا شيء في هذا الآن».

«ولعلك البصر».

«فبراراً وسماتاً لا يمكن ان تناميا في مثل هذه

الظروف. غير ان هذا الرجل الشكيق لا يقضي له معرفة ذلك. واحيراً

كلمه:

محلل باتريك سوجارته بينما اجاب بالقطب :
«مالوري» هل بربرا موجودة؟

وطرأ تغير ملحوظ على نبرة كلامه:

«آه، السيد مالوري، الحقيقة ان الآمنة غصت حالا من القرائش،
واظنا مستحدثك».

فشكرها باتريك بعصبية، وما هي الا لحظات حتى سمع صوت بربرا
الداعم يردد بنفسه:

«كم انت رائع يا جيني» هل نسيت جدانا العاير؟ أمل ذلك،
ان... الحقيقة ان الذئب في ذلك كله ضئيل...»

ود باتريك عليها بجفاء وقسوة:

«الشكركم الرأي، بربرا، هل تقيم سمائنا معلنا؟»
«سمائنا؟»

ولم يكن لباتريك ان يتسا من لحظتها ان سؤالها قد صعبها، فقال:

«لا بأس عليك، يمكنني ان اؤكد من نبرة صوتك انها ليست مقيمة

معلنا».

«ولكن، لماذا تقيم سمائنا معي؟ ان داخن ملكها الآن، ولا حاجة بها
للاقامة في شقة قديمة مهترئة في المدينة».

«صحيح، حسناً، اني اشكرك يا بربرا».

وبالته بربرا عندئذ بنبرة اقسى:

«هل هذا هو سبب اتصالك؟»

«داخن ذلك، وفي اي حال، اني اشكرك واعتذر لاراعيتك».

«آه باتريك...»

لكن باتريك اقبل الخط في وجهها، وكان واضحاً ان بربرا لا تعرف
اين هي سمائنا، ونشأ وضع مقلق وعسير، اذا لم تكن سمائنا عند بربرا،

فأين يمكن ان تكون؟ انها لا تعرف شيئاً عن سكان لندن، وازدحمته فكرة
محاولة سمائنا العمل في هذه المدينة المزدهرة والخفيفة الحياة، خصوصاً وانها

فئة بريئة لم تصفها الحياة او تجربها بعد، ولكن، لماذا قصدت لندن؟ ولماذا
لم تبق في دافن؟ وهل يمكن ان يكون قد حدث امر لم يعلم به؟ وما هو؟

الحد يشرح المفرقة بالاضطراب محاولاً العثور على حل - واحضرت السيدة

تشنسرون بعض الدجاج البارد له، لكنه بالكاد دافق الحمة منه لتغير عصبته
وانهماكه في التفكير، وكان من المحتمل ان تعرف بربرا اكثر مما قالت.

فمنع كل البراءة التي تجلت في نبرة صوتها، فانها ليست شخصاً يعول عليه،
واعاده هذا التفكير الى سبب فرار سمائنا، ولا شك ان بربرا بقيت في دافن

بعد الطلاق والسيد بولام في رحلة العزوبة، فهل يمكن ان تكون قد اطلعت
سمائنا على امر جعلها ترد الف مرة قبل ان تقبل نصيبها من الميراث؟

ولشد ما اعتاضت بربرا عندما اوصت الاليزي دافنيورث بالتركة لسمائنا،
وحين غضب بربرا، فانها لا تفكر من ثؤذي، وكيف.

واشعل سكرارة اخرى، ثم تطلع من الدفأة بكأبه، وبدأ انه لا يستطيع
ان يفعل شيئاً، ولم يجد احداً سوى بربرا يتجه اليه بالسؤال.

عندئذ تذكر ايميلي التي احبها لقوتها ولكونها شخصاً يعتمد عليه،
وتراى له ان اقبل احب سمائنا، في حين لم تقنع بربرا التي عرفها منذ

ايام شبابه، ولم تجزع بما احاطها من هالة عظيمة ووقار، ومن الجائز ان
تعرف ايميلي شيئاً عن حركات سمائنا، لو انه يستطيع الاتصال بها...

وحدهم ثانية بحقيقة انه لا يعرف كيف يعثر على ايميلي، فتمسكاً لا يعرف
كيف يعثر على سمائنا، ولكن ايميلي قضت شطراً كبيراً من حياتها في دافن،

ولا بد ان يكون احد القرويين يعرفها ويعرف مكان اقامتها، هذا هو
الحل، دافن، ايميلي.

وعاد الى قرية دافن عند الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه، وتوقف
امام فندق الكرويزر هيد، فهذا هو المكان الوحيد في قرية صغيرة مثل هذه يجد

فيه المعلومات الضرورية، ولا شك ان مسكن دافن وايميلي التي تعمل فيه
عما موضع اهتمام القرويين، فالتاس يتسبون دائماً ان يعرفوا عن ابتداء

الطليقات النبيلة الذين يعيشون حياة متعزلة عنهم، كانت قاعة القنفذ
مزدهجة لان كثيراً من الزوار وفدوا الى القرية وزادوا من عدد زوار البار.

وبالذات بائع المخبزات اذا كان يعرف ايميلي لوسون، فرفقه حامل البار بنظرة
غريبة بينما سلك:

«وماذا تريد من الآمنة لوسون؟ انك من المدينة، اليس كذلك؟ هل
انت قريبها؟»

عز باتريك كفه واجابه:

ولست قريبها، وإنما أريد التحدث إليها في امر شخصي. فهل تعلم أين أجد لها؟

والاعتادت الأنسة لوسون على زيارة السيدة بيل في منزلها الضيق والأرجح أن السيدة بيل تعرف أين توجد.

اشكرك.

وعاود باتريك المكان فوراً دون أن يسأل عن المنزل، ففي قرية صغيرة يمكنه أن يتنهد إلى كوخ حفر. وترك السيارة في الموقف الخاص قرب الضيق. وأخذ يتمشى في الشارع العام واضعاً يديه في جيبي معطفه. واجتاز الشجر ومنزل الطبيب وباحة الكنيسة وبيناً صغيراً وضعت عليه إشارة «الشرطة». ولم يلمح أثراً للمنزل في هذا الجانب من الشارع. وغيب الجانب الآخر من الشارع أعلاه أيضاً. فتمتد تبيدة سطح وحزن. ولم يشأ العودة إلى الضيق للاستقصاء من جديد. وربما ينف على طرف الرصيف محاولاً التفكير بخلوته التالية، سمع صوتاً ينادي:

دنيا أختي! هل هذا السيد مالوري؟

استدار باتريك مضطرباً.

«إميل. أتني سعيد بالمعروف عليك أيتها النعونة.

فأكفهر وجه إميل:

«هل تبحث عني؟»

أطرق باتريك. ثم سأله:

«هل تسكنين القرية؟»

«إميل. اني اقيم مع صديقتي السيدة بيل حالياً. ولست أدري ماذا سأفعل بعد ذلك. ولم أتمكن حتى الآن من استجماع تفكيري. والحقيقة اني كنت في طريقني لمقابلة الأنسة سمانتا. فهل زرتها انت أيضاً؟»

تأجلبها باتريك وهو يز كتفه مشعباً.

«سمانتا ليست في السكن. ظننت أنك تعرفين مكان وجودها.

دخلت إميل، وضاحت:

«لست في السكن. ولكن، أين هي؟»

«لو اني كنت اعرف، لما حضرت الى هنا.

ما كاد يلفظ بكلماته القاسية، حتى تنهد مضيقاً:

«أنا لواقعة عني. فلما تحدث عنها منذ الصباح مثل المجانين. وقد اتصلت ببربرا، فاطضح أنها لا تعرف شيئاً، أو أنها قالت أن سمانتا في «أفن».

تعاظمت حيرة إميل فيما تطلعت إلى باتريك قائلة:

«لماذا إن ما تقوله يبعث القلق. أولست لديك أي فكرة عن مكانها؟ هل أخضت فحظة بدون أن تقول شيئاً؟»

«الحظيفة اني سألت خالفاً عجوزاً يعمل في المنزل. فقال أنها ابغثهم أنها عاتقة في لندن. وعليه اقترض الجميع أنها تقضي مع والدتها.

غضبت إميل بعبث:

«ولست أرى شيئاً أبعد عن الحقيقة من هذا القول.»

«وهذا ما رأيته أنا أيضاً.

«خصوصاً بعد شعورهما يوم الجمعة...»

«ماذا؟ قل تشاجرتا؟»

«وضعت إميل يدها على جفنها:

«جسناً يا سيدي. ان لا أود التحدث في مثل هذه الأمور.

«كذلك تجزأ يا إميل. فهذا امر مهم للغاية. ماذا جرى؟»

غضبت إميل شفتها قبل أن تجيب:

«كنت أتحدث إلى الأنسة سمانتا بعد فهايك طبعاً. وبينما نتحدثا عن مسكن دافن، أعربت الأنسة سمانتا عن رغبها بإعادة تنظيم المسكن.

«وجعله منزلاً لائقاً مرة أخرى. فأكدت لها أن تلك كانت رغبة جدتها. وإذا ذلك اقتضت علينا الأنسة هاريت خلوتنا. وتصرقت بوقاحة... بوقاحة شديدة.

«فجاءني أنا في الواقع. وقد الزعجت الأنسة سمانتا منها كثيراً. والحقيقة اني طردت طرداً من المنزل. وبعد خروجي الله وحده يعلم ماذا جرى. وأني أأمل ألا تكون الأنسة هاريت قد أخرجت الأنسة سمانتا عن وصية والدتها الأخيرة...»

«أي وصية؟ وهل لها علاقة بمعرفة سمانتا إلى الكلترا؟»

«أجل.»

«فأود باتريك:

«توقعت مني هذا الأمر. هيا بنا يا إميل إلى السيارة. فهاذا ليس المكان

الغضب كل هذا الحديث.

وفي السيارة، الخبثات إيميل باتريك القصة بأكملها، ولم تحف التفاصيل. عندئذ فهم باتريك كثيراً من الأمور كانت برابرا تقوم بها على عكس طبيعتها. وأمكنه أن يتصور موقف سمانتا التي، إن اطاعت على الواقع، ستعبر نفسها ضحية للمكر والخيانة. وفي ظروف مثل الظروف التي عاشتها، كانت هذه القصة تشبه بالقصة التي قصصت ظهر أجمل. ولما انتهت إيميل من حديثها، سألتها باتريك:

«وهل تصورين أن برابرا الخبثات سمانتا بالحقيقة؟»

«الحقيقة يا سيدي أن التصور ذلك معقول جداً، خصوصاً إذا تأملت تعابير وجهها آنذاك.»

واستد باتريك دقته على يديه الموضوعتين فوق مقود السيارة، يا سمانتا من فتاة مسكية شقية، لعلها تذكر أن احداً لا يكثرث بها، رغم عقد الأمور حين عاملتها بهذه الطريقة. ولكن يسامح نفسه أوتيسى ذنبه في كل ما حدث.

وشهدت إيميل تهيدة خائرة:

«أذن، فأنا ذهبت.»

«لا شك أنها شعرت برغبة القرار أن كانت قد اطاعت على الواقع. ولم كنت متأكد، فعلت.»

«اعتقد ذلك. أي قلقة عليها كثيراً لأنها لا تعرف أحداً في لندن، كما أنها ليست فتاة يسهل عليها الاعتماد على نفسها.»

«ولكن أين يمكن أن تكون قد ذهبت؟ أين؟»

وحاولت إيميل جاهدة أن تفكر. هل كانت سمانتا تعرف شخصاً آخر هنا؟

تم قالت فجأة:

«واعتقد أنها عادت إلى إيطاليا يا سيدي.»

لهفت باتريك ضارباً راحة يده بقبضة الأخرى:

«إيطاليا؟ طبعاً يا إيميل. كان يجب أن أذكر بإيطاليا حيث لها أصدقاء.»

«ولا شك أنها عادت لترافق.»

وهمت إيميل بتشككة:

«ربما كان ذهابها مؤقتاً. ولكن، إذا كان هذا صحيحاً، فلماذا لم تعلم أحداً بذهابها؟»

«هذا غريب، في أي حال، إن املك الآن مفتاحاً. وستحصل بالطار فور عودتي إلى المدينة، وسأعطيكم بما يستجد. حل غلك صديقك هاتفاً؟»

«السيدة بيل؟ كلا. ولكن مصلنا أي خبر تركه في غلق الكويتر هذه.»

«نسيم باتريك فاه.»

«حسناً يا إيميل. أي اشكرك، ولا تقلقي لاني سأجدها.»

«وايضا لم إيميل. بيتا همست وأضية.»

«كنت افكر أن الآتية استحوذت على قلبك.»

«فيمس باتريك.»

«وهذه افكار خاصة يا إيميل، لا يجوز لك أن تشرها.»

«أعلم يا سيدي. لكن الآتية سمانتا انزعجت كثيراً، ولم أرتخصاً آخر يستطيع مساعدتها وتغيير ظروفها سوءاً.»

«فقال باتريك بغيرة جافة:

«أمل ذلك يا إيميل. وسأبذل جهدي.»

دخبت سمانتا منزل سوقيها سلفا الواقع في شارع الغاني في مدينة رافنا. وكانت الدنيا تخطر في الخارج بقزارة، بيتا ارتدت سمانتا معطفاً أبيض بدت عليه آثار الرطوبة الشديدة. وكانت قد اشترت المعطف يوم وصولها إلى ميلانو. ومنذ عودتها قبل اسبوع، لم يتخلع المطر، وتيز الجو ببرودة غير مألوفة في هذا الفصل من السنة.

«وإذا كان الطقس كئيباً، فلا شك أنه يعكس مشاعرها... ولا يسهل الجو في أي حال. وكتم احسب بالتعاسة والشقاء أن رافنا لم تكن تشبه بيروريو حيث عرفت الجميع، وليست إلا مدينة غريبة مثل لندن لا تعرف فيها إلا ماتيلدا المنجوز وشقيقها سونيا. ومن الطبيعي أنها زارت بيروريو الذي قبر والدها الذي بدا غريباً أن يكون قد مات قبل فترة قصيرة، وقعت خلالها أحداث من الكثرة بحيث إن الأيام التي عاشتها توازي عمراً كاملاً. وكانت قد عادت إلى الساحة لتوقف حاملة الركاب الشجرة إلى رافنا

عندما سمعت شخصاً يحكيها . واستدارت لتجد بيتو يقف وراءها ومسانداً مشوهاً:

«سمانثا؟»

واستطاعت أن تفهم استفراجه ، لأنها بدت كمن استمع بالمطر والريح . وبدت في محطتها الرخيص وأذا الأنيق وحداثتها ذي الكعب العالي فتاة غير الفتاة التي غافرت بيرونيو . فكلمته وهي تصطحف الألباس:

«مرحباً يا بيتو، ما أجمل أن ألتقيك ثانية» .

وتمّ وسطح بيتو ألا أن ينظر إليها مذهولاً . ثم نطق بالابطالية:

«ولكن .. ولكن ..»

وعادت تخاطبه بلعته في ثلاثة:

«لا تدعني . اني لست شجاعاً ، بل انا حية وأقيم حالياً مع ماتيلا وشقيقته في رافينا . وسوف ، شقيقة ماتيلا ، تعرف شخصاً يريد مربية لابنه الصغير . لذلك انظر إلي ساجصل على وظيفة مربية عما قريب» .

بدأ التهلول على بيتو الذي صاح مشوهاً:

«ولكنك لا تستطيعين أن تعلمي ذلك . فانت تعرفين شعوري بحولك يا سمانثا . والحقيقة اني غللتك غامدة لرونيو عندما لمحكك» .

تلون وجه سمانثا بالقر لون ولون:

«بيتو يا بيتو اني آسفة اذا كنت قد جعلتك تفكر هكذا . لكني اثبت في الواقع لازور غير والدي» .

«وماذا عن رحلتك الى انكشرا؟ ام تكن ناجحة؟»

ردت سمانثا بانحصار:

«كلا» .

«اذن ، ماذا تنوين ان تفعل؟»

«اعتقد اني اخبرتلك» .

تأمل بيتو كلمة يائساً وهتف بقصبي:

«يا للسخرية» سمانثا ارجوك ..»

«قبل ان اسافر يا بيتو تحدثت الى والدتك . قائليني انما لن تقبل ان كنت خا على الاطلاق . وقد اكتشفت انما الآن ان ما كان بيتنا لم يكن حياً حقيقاً» .

احمر وجه بيتو:

«كيف يمكنك ان تعرفي هذا؟ هل التقيت رجلاً آخر في انكشرا؟»

«خفضت سماني رأسها:

«أجل» .

«اذن ، ماذا حدث ال هيا؟»

ثم استطاع بيتو تفكيره «السائح ان يرى العالم الا بالابيض والاسود» عاجزاً عن تمييز الظلال المنتشرة بينها .

«انها قصة طويلة» .

اجابته سمانثا بقولها هذا بيتا الضقت ال آخر الشارع وهي تسمى خنضة ان تحضر حافلة الركاب . ولم ترد اشارة اي جدال آخر مع بيتو .

«هل تنوين الاقتران بهذا الرجل؟»

هزت سمانثا رأسها . وتحرك بيتو بعصبية:

«ولكن ، لماذا؟»

«اثبتت سمانثا شفقتها ، وانحسرت بالدموع تفرقون في عينيها . ألا انها حبست دموعها غاضبة واجابهته:

«لانه لا يريدني . والآن ، ارجوك ان تتركني لوحدي» .

وهزت كتفها يائساً بينما مروت لساعها على شفقتها العفيا:

«آه يا بيتو ماذا يمكنك ان تقول لك؟ كيف حالك» .

«اني بخير . لقد رزقت سلفاتا ولداً آخر» .

وسلفاتا شقيقة بيتو التي انجبت ثلاثة صبيان حتى الآن .

اكثر لمر سمانثا عن اتساعه متكلفة لان حديثاً من هذا النوع كان العالم كله يائسبة اليها منذ شهرين . . وسأله:

«وهل حزنته؟»

«كلا . فماريو يريد ان ينجب مبدأ كبيراً من الابناء الذين يفقدون» .

وعادت سمانثا تنظر عبر الشارع . لو ان حافلة الركاب تكي الآن!

واحس بيتو بانقباضها وكذبها . فدخل يده في جيبه بغضائه متمسكاً:

«حسناً . سأذهب لأن والدي تنظرك» .

وتهدت سمانثا:

«حسناً يا بيتو . لقد سمعتك ياغالبك من جديد» .

لم يكن ما قالته كافياً، لكنها لم تجد شيئاً آخر تقول.
وأطرق ينيو. ثم جرى عبر الشارع وهو يلقي نظرة عليها بين الحين
والآخر. ولزحت سمائها له بيدها مبتعدة أن تحضر حافلة الركاب.
ووصلت الحافلة.

حدث كل هذا قبل أربعة أيام. واليوم ذهبت لمقابلة السيورة
ماركازي. ولم تعجب هذه المرأة الإيطالية البديهة البغيضة سمائها تماماً، ولا
ابنها الصغير البدين والفاقد الاخلاق. ومن المؤكد أن فيريو الصغير كان
قزماً، ومحاولاته العديدة لاثارة سمائها أفلحت في إعطاء ثمارها المرجوة آخر
الأمر، واعتزتها رغبة بالاندفاع من المنزل القائم في منطقة واقية من المدينة،
وعند العودة لرؤيته هذين الشخصين المرفقين. لكنها أصعب السيورة
ماركازي على ما يبدو. ولما كان زوجها السيور ماركازي مأخوذاً بفكرة
الحصول على مربية إنكليزية لابنه، فإنها فكرت من الحصول على الوظيفة.
وظلت سمائها يوماً كاملاً تبحث الموضوع وذلك لأنها لم ترغب بالعمل
عند أسرة ماركازي. وظهر جلياً أن السيورة ماركازي لم تعتبر اقتراح
سمائها اقتراحاً مهذباً، إلا أنها أجبرت على قبوله إذ لم يكن أمامها خيار
آخر. ولما دخلت سمائها المنزل القائم في شارع الغاتني كانت هذه هي
الفكرة المسيطرة عليها. وأسرت ماتيلد لتحييها بينما خلعت معطفها
الواقى من المطر.. وقالت:

«الخبريني، هل كانت المقابلة ناجحة؟»

تهدت سمائها فيما سوت شعرها بيدها واجابت متعبة:
«اعتقد ذلك. ولكن، له يا ماتيلدا لا أستطيع أن أفكر كيف سأعيش
مع هذه الأسرة. وهذا كل ما في الأمر. لذلك طلبت مهلة للتفكير. ومن
البديهي أن السيورة لم تعجب بالفكرة».

أطرقت ماتيلد وقد تفهمت ما عنت الفتاة:

«طبعاً يا عزيزي. إلا أنه من المحتمل أن تخفي آمال سوفيا بعدم
سراقتك الفورية لأنها تعتقد أنها فرصة ذهبية. فاسرة ماركازي أسرة غنية
والجميع يكون لها الاحترام والحب هناك».

واجتازت سمائها المرءة الأرض الحجرية نحو المطبخ حيث تقضي
السنة الثلاث معظم وقتهن. ولم يكن المنزل واسعاً، بل حوى غرفتين في

كل من طبقته. وخلا من تورة للعباء ومن امكانية الاختلاء والانفراد
بالنفس. وتأكدت فما ضرورة عبورها على مكان خاص بها وبسرعة.
وتلقت سمائها فتجان القهوة الذي قدمته لها ماتيلد مبتعدة. وقالت لها
ماتيلد بذكر:

«إذا لم تقبل هذه الوظيفة يا صغيري، فإن احتمال حصولك على وظيفة
أخرى سيكون أصعب».

وابتسمت سمائها لماتيلد بحبيب:

«اعلم يا عزيزي ماتيلد. وسأقبل الوظيفة طبعاً. إلا أنني أشعر
باضطراب».

أطرقت ماتيلد، التي كانت قد سمعت قصة سمائها بكانائها لدى رجوع
الآخيرة من لندن، دون أن تعلق على تصرفاتها مؤيدة أو معارضة. وسمائها
نفسها لم تكن تعرف إذا كانت على صواب أم ضلال، أو إذا كانت قد
تصرفت بحماقة عتلتها تخلت عن حياة الرفاهية لتعيش حياة الفقر.
إلا أنها نيلت هذه الأفكار، فلا يمكنها البقاء في إنكلترا والمجازفة بمقابلة
باتريك ووالدتها، وزوجها المحتفل. ولم نشأ أن تعرف شيئاً آخر عنها
حتى تبقى أفكارها على حالها الآن.

وارتدت سمائها معطفها بعد العشاء، وانطلقت سراً على الأقدام. كان
الماء اللطيف جواً بعد نهار غاصف مجنون، واستمتعت بالنسيم العليل
يلفح وجهها، ولكنها فكت لو أن رافنا مدينة ساحلية حتى تستطيع السير
بجانب البحر. فهي تحب البحر. ولم تره إلا قليلاً مذ غادرت بيروزيو قبل
سنة أسابيع. ستة أسابيع! ما أعظم الأحداث التي قد تقع في مثل هذه
المدة!

استيقظت في صباح اليوم التالي لتري الشمس مشرقة للمرة الأولى منذ
رجوعها، وفتحت نافذتها لتطل منها إلى الخارج وتحس يدفء الهواء.
وتهدت إذ شعرت بالأرتياح، فالشمس دائماً تجعلها تشعر بالتحسن
والانتماء.

لقد ابغمت السيورة ماركازي بأنها ستزورها عند الساعة الثالثة لتعلمها
بقرارها. وهكذا يمكنها أن تتمتع بحرمتها في هذا الصباح. وبعد أن
تناولت قطعة من الخبز المدور والقهوة، ارتدت بظلالاً وسيرة صوفية داكنة،

ودعيت لشراء بعض الحاجيات. واعطتها سوفيا لائحة بما تريد شراءه. ولما
 استتمعت سمعنا بمقارعة البائسين. احسب انها بدأت تعود الى طبيعتها،
 وقالت في نفسها ان الزمن سيدوي كل الجراح، وعليها ان تتجاهل الفراغ
 المألوم الذي تحس به في اعمالها. وحل الظهور قبل ان تعود الى شارع
 القاتني. وعادت الى الشارع فحشي اهلوه ونهزهز السنة في ذراعها. ولم
 تثبت ان التقيت اسابرها، اذ لحقت سيارة من طراز كوتشينتال تقف امام
 منزل سوفيا الصغير وقد بدت ضيقة للغاية في الشارع الضيق.
 ترى سيارة من هي؟ من المؤكد ان سوفيا وماتيلد لا تعرفان شخصاً
 يملك سيارة بهذا الحجم. والا، فان السيارة تخص امرأة ملاكازي.
 وارتابت قليلاً وان يكن ارتياحها مؤسماً منه اذا كانت تخص السيور
 ملاكازي. والمهم ان احداً لا يعرف انها هنا. لا باتريك، ولا يريارا، ولا
 السيد بولام. وتابعت سيرها في الشارع حتى دخلت البيت حيث احسب
 اعصابها مشدودة كالوتر الكمان. وارتجفت دون ان تدري السبب. وامرت
 نفسها بان تهدأ وتسترخ. وتكف عن هذيانها واحلامها وابوهامها.
 وانطلقت الى المطبخ حيث كانت سوفيا تحرك الحساء فوق الموقد. ولما
 دخلت سمعنا بادرها بالاشياء، وسألها:
 «هل اشريت كل ما تحتاجينه؟»
 توقفت قلب سمعنا على حين غفلة:
 واعتقد ذلك. متى يصبح الغداء جاهزاً؟
 عادت سوفيا تحرك الحساء:
 «في غضون ربع ساعة»
 «اين ماتيلد؟»
 «انها في الغرفة الاخرى مع احد الضيوف. ادعني وابليها ان الغداء
 اولئك ان يتضح، واسأل خيضا اذا كان يرغب بتناول غذائه معنا.
 تركت سمعنا السلة على الطاولة وانطلقت نحو الغرفة التي لا تسعمل
 الا في المناسبات الخاصة. وقرعت الباب قرعاً خفيفاً، ثم دخلت.
 عندك شعرت وكان فلها توقف عن الحفان. وأت باتريك يقف مديراً
 ظهره للمدانة الخالية وهو يتشم اشباحه المذابة ويرتدي بزة كخيلية
 ومغطاً. وصاحت بصوت كاذب تحته الفرحة:

«باتريك!»،
 فردّ بديوه الغتاد وكأنه من الطبيعي ان يقف هناك:
 «مرحباً يا سمعنا».
 ونهضت ماتيلد عن الارضية قائلة:
 «هذا... الضيف الكريم ينتظر منذ زمن بعيد يا سمعنا، هل انت
 بحير يا حبيبي؟ انك تبدين شاحبة جداً»
 هزت سمعنا رأسها وتتمت متلعثمة:
 «ان... اني بحيرة»
 ثم استجمعت افكارها المشتتة، وحاولت انتزاع الدهشة من ثبوة
 صوغها:
 «ماذا تعمل هنا يا باتريك؟ هل اوسلتك يريارا الي؟»
 احابا بحزم:
 «لم يرسلني احد، بل حضرتت نفسي لاسترجعك»
 نشجت كتفا سمعنا:
 «اشكرك على ما تكلفته من اجلي. لكني لا اريد ان اعود»
 ورمى باتريك ماتيلد نظرة جعلتها تحي كضيقها ثم تدفع الى الباب.
 «ساترككيا لوحديكيا. فانا متأكدة ان لديكيا الكثير لقوله»
 واصسكت سمعنا ذراع ماتيلد اذ احسبت فجأة بالخوف من هذا الغريب
 المحلق فيها بعين حادتين:
 «لا تدعني يا ماتيلد. فكل ما سنقوله يمكنك ان تسمعيه»
 تحررت ماتيلد، وانددت نحو الباب تغلفه وراءها بينما تقول:
 «عزيري سمعنا، عليك مواجهة الامر بتعسك. ولا استطيع
 مساعدتك»
 ولما ذهبت ماتيلد، انكأت سمعنا على الباب ليسهل فرارها ان دعيت
 الحاجة. وازدادت حمرها اذ عجزت عن مجازاة باتريك وهو على ما فيه من
 اضطراب وهياج. اما هو، فخلع معطفه، ولم يكن قد نسي له الوقت
 لبدل ملابسه هنا في ايطاليا حيث الجو اكثر حرارة بكثير من انكلترا.
 وحديثه سمعنا يأس:
 «لا ادري ماذا تنوقع مني ان اقول. الحشيفة ان اغلبت عن انكلترا الى

الأبد. ولن اعود اليها لاني لا احب ناسها ولا اعرف فيها احداً بعد اليوم.

عقب باتريك بصفاء:

«بل تعرفين».

فنهبت سمائها:

«علمت انك تلقيت عرضاً بالسفر الى الولايات المتحدة لانتاج مسرحيتك الاخيرة في فيلم سينمائي».

«هذا صحيح. والمسرحية الآن بين يدي وكيل اعمالني في لندن. واذا اقتضت الضرورة حضورني، يمكنني العودة بالقصى السرعة».

خفضت سمائها رأسها:

«فهمت. اني سعيدة من اجلك. استصح من المشاهير بعد الآن».

فابتسم باتريك ابتسامة صغيرة:

«هل تعتقدين ان من المهم ان يصبح المرء شهيراً؟».

ولست ادري. ذلك يعتمد على شخصيتك. ربما ستحب هذا كثيراً».

قسأها باتريك ببرودة:

«وما علاقة برنارا بالموضوع؟».

«لا اعرف ذلك. لكن من المحتمل ان ترتباً برنامجاً معها».

علق باتريك بحة:

«كفي عن التحدث بالانغاز. فانا وبرنارا... كنا اصدقاء... لفترة. اما الآن، فكل ما بيننا انتهى. وبرنارا تعرف ذلك. لكنها لن تقر به».

حينئذ ضمت سمائها يديها الى بعضهما وابتعدت عن الباب:

«اذن، فاني لا اهتم سب قدومك الى هنا».

لماذا تظنين اني حضرت الى هنا ابداً الحفلة الصغيرة؟».

ثم مز رأسه وقد امسك ذراعها:

«عل تدبرين لماذا فعلت بي يا سمائها، وكنت احسب اني تحطيت العمر الذي اتفق فيه في الهوى؟».

«أه، لماذا لم تخبرني يا باتريك؟».

«الحقيقة اني حاولت ان اخبرك يوم الجفارة. لكنني اظن اني جعلت الامر يبدو مزعجاً على عيني. وربما لا زلت حتى الآن تفكرين بمقاصدي...».

واحرث سمائها فجلاً من افكارها. فلفس باتريك:

«ارأيت؟ ماذا تظنيني.. شيئاً مقنعاً أم ماذا؟ هل تحببت اني سأعرض عليك انشاء علاقة حب سرية؟».

فهرت سمائها رأسها بينما اعترفت:

«ولست ادري.. ولكن، اخبرني بصراحة يا باتريك من فضلك».

واغمضت عينيها برهة. لا شك ان ما رآته ليس سوى حلم. وهمت بلهجة طغا عليها الشوق والتحرق:

«انت تعلم اني اوافق. ولكن، هل يمكننا؟ فانت مسافر الى الولايات المتحدة. ولا تنسى ان هناك برنارا...».

«امانت كثير من الامور بنغي مناقشتها. أولاً، بإمكاننا اعتبار الرحلة الى امريكا بمثابة بداية لشهر العسل. فهل تروق لك الفكرة؟».

سدوت سمائها اليه نظرة اعجاب:

«اتدري يا باتريك انها فكرة رائعة؟».

«حسناً. هذا يجعل ازمة شهر العسل. وبعد ذلك يمكننا ان نعود الى انكلترا حيث يمكننا ان نقيم في دافن اذا كانت هذه رغبتك...».

«اني اوافق».

فابتسم باتريك:

«وعظيم. اما في ما يتعلق ببرنارا، فدهينا نتجاهلها ولا نشغل أنفسنا بامورها. واذا حدث ان ظهرت قصتك المنسية معها، ستكون هذه مشكلتها. ولا حاجة ان نبالغ في عدائنا لها».

فعلقت سمائها:

«اني مسرورة بقولك هذا لاني لا اريد ان اسبب لها المزيد من الازعاج».

«اذن، بقي علينا ان نقرر شيئاً بخصوص كيلني. هل ترغبن بقضاء بعض ايام السنة هناك؟».

ضحكت سمائها وقد احست بالتطامنات للمرة الاولى منذ أسابيع:

«وهل يسع لنا الوقت؟ أه يا باتريك الحبيب، انه حلم يتحقق».

ثم سأته:

«ولكن، كيف عثرت علي؟».

نهد باتريك:

«زرت دافن حيث لم أجذك . والتقيت بايميلي . فاعبرتني عن شجارك مع
بربارا ، ولما ادرنا انك لن تقيمي في لندن ، اقترحت ايميلي فكرة رجوعك
الى ايطاليا . فاتصلت بالمطار فور عودتي الى المدينة . وافادوني انك سافرت
قبل اسبوع الى ميلانو ، فحجزت مقعداً في الطائرة القادمة الى ميلانو بعد
ان رُتبت اموري .»

ثم سالها ضاحكاً :

«هل تشعرين بالضجر؟»

ولما هزت رأسها تقياً ، استطرد :

«واستأجرت سيارة انجهدت بها الى بيروزيو حيث عرف الجميع اسمك
دون ان يعرفوا مكان وجودك . واخيراً التقيت شاباً يدعى بنيتو
الجبلي . . .»

«بنيتو!»

«اجل . قال احد الشبان ان بنيتو هو الوحيد الذي يحتمل ان يعرف اين
تقيمين . وقد أكد انه التقاك قبل بضعة أيام حين اخبرته انك تقيمين مع
ماتيلد وشقيقتها في رافنا . وها انذا . فهل ما قلته يقنعك ويرضيك؟»
«تماماً . لكنني ما زلت لا اصدق ما حدث لانه رائع الى اقصى الحدود .
ولكن ، هذا ما تريدته ، اليس كذلك؟ الديك شكوك؟»

«الديك انت اي شكوك؟ باتريك ، الحقيقة انه لم تكن عندي اي
شكوك . وقد عرفت الواقع منذ الدقيقة الاولى في الطائرة .»

«هل تعرفين اين سندهب الآن؟»

تطلعت اليه سماناً مرتبكة :

«كلا» .

«الى فيلا عند شاطئ ، بحيرة كومو لمقابلة ألسنيورة مالوري . . .»

«أهي والدتك؟»

«اجل . لا بد ان تقابلك الآن ، اليس كذلك؟ فانت ستصبحين كنتها
خلال اسبوع على الاكثر .»

«حسناً يا حبيبي . لا يهمني اين اذهب ما دمت معك .»

hinda70

www.lilas.com